السعـــادة عنـــد الفـــارابى

(عـــرض ونـقـــد)

دكتور
جميل إبراهيم السيد تعيلب
أستاذ مساعد العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين ـــ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد يحيي ويميت. بيده الخير. وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله. اللهم صل عليه، وعلى آله، وصحبه، وسلم أجمعين. وبعد:

كنت أثناء حياتي التعليمية، تعلماً وتعليماً، أقرأ عن السعادة عند الفلاسفة وأنها الغاية التي يصبو إليها كل فيلسوف.

وعند دراستي، وتدريسي لمادة الفلسفة الإسلامية، وجدت أن الفارابي، من أشهر فلاسفة الإسلام، الذين تحدثوا عن السعادة، وسبل تحقيقها. ولعل السعادة عند الفارابي، هي جماع فلسفته، فكل موضوعاته الفلسفية، تصب أساساً، وتتمركز في موضوع السعادة.

وقد هداني الله تعالى، ووفقني، للبحث في موضوع السعادة عند الفارابي.

وقد جعلته تحت عنوان: "السعادة عند الفارابي. عرض ونقد"

وقد قسمت الموضوع إلى:-

مقدمة: تحدثت فيها عن تقديم للموضوع، وأهم مباحثه

وتمهيد: ذكرت فيه الخطوات العريضة لحياة الفارابي.

ومدخل: ذكرت فيه معنى السعادة في اللغة، ومعناها عند الفارابي.

وثلاثة مباحث مترابطة، لا فصل بينها وهي:

المبحث الأول: الاتصال بالعقل الفعال والتشبه به.

المبحث الثاني: اكتساب العلوم، والمعارف، والأخلاق.

المبحث الثالث: المدينة الفاضلة.

وبيان ذلك: أن الفارابي يرى أن طريق السعادة أولاً لابد أن يكون بالاتصال بالعقل الفعال، والتشبه به.

فإذا اتصل الإنسان بالعقل الفعال، أفاض عليه من العلوم والمعارف والحكم، وبخاصة العلوم التي تهذب الجانب الأخلاقي، وتنمي الجانب الفكري كالفلسفة، والمنطق الذي يكسب الإنسان جودة التمييز.

فإذا تعلم هذه العلوم، ومنها ما يكون بالاكتساب والتمرس عليها، ومنها ما يكون من فيض العقل الفعال، فإنه لابد من وجود مجتمع، تطبق فيه هذه الأمور، حتى يتحقق فيه السعادة.

تحدثت عن هذه الأمور الثلاثة، وعرضت رأى الفارابى فيها. وقمت بنقد ما يستحق ويوجب النقد – قدر طاقتى – . وهناك موضوعات رأيت أنها من القوة، بحيث لا تدخل فى دائرة النقد ثم ذكرت بعد ذلك: خاتمة للموضوع.

وبعد: فإن كنت قد وفقت فله تعالى وحده الحمد والمنة. وإن كانت الأخرى فمن نفسى واستغفر الله. وإنى أطلب من أساتذتى وزملائى التقويم.

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه. وأن يتقبل عملى هذا، ويجعله خالصاً لوجه الكريم ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

دكتور
جميل إبراهيم السيد تعليب
أستاذ مساعد العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين القاهرة.

تمهيد فى حياة الفارابى

تكاد تغفل كتب التراجم والتاريخ، الكثير من الحياة الأولى لفيلسوفنا الفارابى، وهذا أمر ليس بمستغرب؛ لأكثر من سبب. أهمها:

– أن حياة الإنسان فى بدايته، عادة ليس فيها ما يستحق التسجيل، اللهم إلا إذا كانت له مكانة وشأن عظيم فى أهله، أو بعد لكى يكون فى مكانة مرموقة.

– أن حياة الفلاسفة بصفة عامة يشوبها الكثير من التكتم "وربما كان للنظرة العامة إلى الفلسفة، وضيق الكثيرين بها، وحذرهم منها دخل فى إغضاء المؤرخين عن الفلاسفة، أو كما كانوا يسمونهم بالمتفلسفة". (١)

فقد أغفلت كتب التراجم والتاريخ، الكثير من حياة الفارابي. فلا نعرف تاريخ ميلاده إلا استنتاجاً، واختلفت كذلك اختلافاً كبيراً في اسمه، كما لا نعرف الكثير عن حياته.

---

١ الفلسفة الإسلامية من المشرق إلى المغرب. د. عبد المعطى محمد بيومى . ص١٤٠. ط. سنة ١٤٠٣هـ . ١٩٨٢م.

وعلى الرغم من ذلك؛ فإن ما ذكره المؤرخون، فيه تعريف بفيلسوفنا، وما تركه من تراث فلسفى، يكفى لمعرفة حقيقته. وهذا ما نحتاج إليه فى البحوث الفلسفية.

حياة الفارابى:

اسمه: اختلف المؤرخون في تحقيق اسم أبي نصر.

فقال ابن أبي أصيبعة أن اسمه: أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان(١). وهما من الأسماء التركية.

وقال الذهبي والصفدي والقفطي: محمد بن محمد طرخان التركي(٢).

وقال ابن خلكان: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ(٣).

وذكر ابن النديم أن اسمه: محمد بن محمد بن محمد طرخان(٤).

والقاضي صاعد في طبقات الأمم محمد بن محمد بن نصر(٥).

والواضح مما سبق اختلافهم في اسم أبيه ومن بعده، وإن اتفقوا جميعاً في أن اسمه محمد.

ولا أدري لماذا كني بأبي نصر على الرغم من أن المشهور عنه أنه لم يتزوج.

ومعظم المترجمين له ذكروا أنه تركي الأصل. وذكر صاحب عيون الأنباء أن والده فارسي، وتزوج من امرأة تركية، وكان قائداً في الجيش التركي.

والحقيقة لا يمكن تحقيق اسم الفارابي للتضارب في هذا، وعدم ذكر الفارابي نفسه اسمه ونسبه في كتبه – فيما أعلم –، وكذا لم يذكره أحد من تلامذته.

وكذا يصعب معرفة أصله هل هو تركي أم فارسي. يقول الشيخ الإمام

---

(١) عيون الأنباء . جـ٢ صـ١٣٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ . تحقيق : شعيب الأرناؤوط . جـ١٥ صـ٤٣٨ . طبعة مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة التاسعة . سنة ١٣٩٣هـ . والعبر في خبر من غبر له أيضا جـ١ صـ١٣٧ . وتذكرة الحفاظ له أيضا جـ٣ صـ٨٥١ . . والوافي بالوفيات للصفدي جـ٧ صـ٧٣٢ .. وأخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي جـ١ صـ١١٨ ، ١٥٥ .

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . أبو العباس شمس الدين محمد بن خلكان . تحقيق : د/ إحسان عباس جـ٥ صـ١٥٣ طبعة دار صادر بيروت . سنة ١٩٩٤م .

(٤) الفهرست . صـ٣٢٣ .

(٥) طبقات الأمم للقاضي صاعد .

مصطفى عبد الرازق – رحمه الله – " ولا سبيل إلى تحقيق نسبه من هذه الناحية ؛ لتقارب البلدان، واشتراك الأعلام فيها. وإن صح أن أباه كان قائد جيش، فهو لم يكن من كبار القواد، الذين يشيد بذكرهم التاريخ، ولعل فيما امتاز فيه الفارابي من الشجاعة، والصبر على احتمال متاعب الدرس، ومشاق الأسفار، وشظف العيش ، ما يشعر بأنه سليل أبطال"[١].

موطنه: يتضح مما سبق أن انتسابه إلى فاراب، وهي كما يقول " ياقوت الحموي ": "ولاية وراء نهر سيحون، في تخوم بلاد الترك، وهي أبعد من الشاس، قريبة من بلاساغون، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم، إلا أن بها منعة وبأسا "[٢]. ومولده في قرية من قراها تسمى " ويسيج " وهي قرية صغيرة حصينة [٣].

وقد ذكر ابن النديم وغيره أن موطنه " الفرياب " من أرض خرسان، ولو صح هذا لكان يطلق عليه الفريابي لا الفارابي.

مولده: أهملت كتب التاريخ تاريخ ميلاده، إلا أنه يمكن أن يستنبط هذا من خلال كلام بعض المؤرخين كابن خلكان، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة ٣٣٩هـ عن ثمانين عاما فيكون ميلاده تقريبا سنة ٢٥٩هـ.

وكذا أهملت كتب التاريخ والتراجم، الحياة الأولى له، حتى قيامه برحلاته وأسفاره لطلب العلم، وما دون عن أسفاره، كان بعد بلوغه سن الأربعين.

إلا أن الفارابي – وهذا يظهر من ثقافته –تعلم مختلف العلوم العربية، والعلوم الدينية من عقيدة وتفسير وحديث وفقه وغيرها. وعمل بالقضاء، وهذا يدل على ضلوعه بالأحكام الشرعية.

يقول ابن أبي أصيبعة " فقد كان في أول أمره قاضياً، فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك، وأقبل بكليته على تعلمها، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البتة "[٤].

ويحلل الإمام عبد الحليم محمود – رحمه الله – هذا الموقف فيقول: " بيد أن

(١) فيلسوف العرب والمعلم الثاني. الشيخ مصطفى عبد الرازق صـ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) معجم البلدان . ياقوت الحموي . جـ٣ صـ٣٠١ .

(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام . دي بور صـ١٩٦ .

(٤) عيون الأنباء جـ٢ صـ١٣٤ .

دراسته الفقهية، وعمله في القضاء، الذي كان ثمرة لهذه الدراسة، لم يؤهلاه إلى ما يطمح إليه، فضلاً عن أن بيئته، وما يستلزمه من عمله من مخالطة واتصالات، لا تترك له فراغاً. كل ذلك كان يحول بينه وبين ما يطمح إليه. وها هي ذي السنون تمضي، الواحدة تلو الأخرى، ويزداد شوق الفارابي إلى معرفة الحقائق الخاصة بما وراء الطبيعة. وفي فترة من فترات التحمس الشديد، عدل فجأة عما هو فيه، وقد ناهز الأربعين تقريبا، فمال راضياً مغتبطاً إلى حياة التأمل، والتفكير الفلسفي الصوفي، فغادر بلدته قاصداً بغداد ، وهي إذ ذاك مصدر الثقافة العربية"[١].

ومن الثابت أنه تعلم بعض اللغات، التي يستطيع من خلالها أن يتحرك لطلب العلم، تعليماً وتعلماً. فتعلم على الأقل اللغات العربية، والتركية، والفارسية، والكردية. وقد نقل عنه أنه أجاد سبعين لساناً[٢]. ولا شك أن هذا مبالغة واضحة، شبه مستحيلة.

ويستنبط من تحليل الفارابي لكلمة "سفسطة" في كتابه "إحصاء العلوم" أنه لم يكن يجيد اللغة اليونانية[٣].

تعلمه وثقافته : يذكر ابن خلكان طرفاً من حياته وإشادته به، فيبين أنه أكبر فلاسفة الإسلام، ولم يبلغ رتبته أحد من المسلمين في فنونه من منطق وفلسفة وموسيقى وغيرها. وقد تتلمذ ابن سينا على كتبه وانتفع بكلامه[٤].

تعلم فيلسوفنا الكثير من العلوم العقلية والطبيعية، فضلاً عن العلوم العربية والدينية، كما عني بدراسة الطب.

وتعلمه لهذه العلوم جعلته يتنقل ويرتحل إلى المراكز العلمية المختلفة لتلقي العلم بها، وعلى أيدي المهرة فيها. فذهب إلى بغداد، وتعلم بها المنطق على إمام المناطقة بها " أبي بشر متى بن يونس "، و " يحيى بن عدي. " ثم إلى " حران " وتعلم فيها على يد " يوحنا بن حيلان ". وكان عمره يقترب من الخمسين عاماً.

ثم عاد إلى بغداد وتعلم بها العلوم الفلسفية " وتناول جميع كتب أرسطوطاليس، وتمهر في استخراج

(١) التفكير الفلسفي صـ١٩٣ .

(٢) وفيات الأعيان جـ٥ صـ١٥٥ .

(٣) د/ مدكور انظر : الفارابي . سعيد زايد صـ١٥ طبعة دار المعارف. الطبعة الثالثة .

(٤) وفيات الأعيان نفس الموضع .

معانيها، والوقوف على أغراضه فيها، ويقال أنه وجد كتاب النفس لأرسطو، وعليه مكتوب بخط أبي نصر الفارابي، إني قرأت هذا الكتاب مائتي مرة. ونقل عنه أنه كان يقول: قرأت السماع الطبيعي لأرسطوطاليس الحكيم أربعين مرة، وأرى أني محتاج إلى معاودة قراءته، ويروى أنه سئل عن أعلم الناس بهذا الشأن أنت أم أرسطوطاليس ؟ فقال: لو أدركته كنت أكبر تلامذته[١]. وهذا يدل على على حبه للعلم وعلى تواضعه.

وقال عنه القاضي صاعد: " الفارابي فيلسوف المسلمين بالحقيقة. أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان فبذ جميع أهل الإسلام، وأربى عليهم في التحقيق لها، وشرح غامضها، وكشف سرها، وقرب تناولها، وجمع ما يحتاج إليه منها في كتب صحيحة العبارة، لطيفة الإشارة، منبها على ما أعيا الكندي وغيره من صناعة التحليل، وألحاء التعاليم، وأوضح القول فيها عن مواد المنطق الخمسة، وأفاد وجوه الانتفاع بها، وعرف طرق استعمالها، وكيف تصرف صور القياس في كل مادة منها، فجاءت كتبه في ذلك الغاية

(١) السابق جـ٥ صـ١٥٣ .

الكافية، والنهاية الفاضلة.

ثم له بعد هذا كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولا يستغني طلاب العلوم كلهم عن الاهتداء به "[٢].

ويذكر القاضي صاعد بعد ذلك طرفاً من ثقافته فيقول: " وله كتاب في أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس، يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة، والتحقق بفنون الحكمة، وهو أكبر عون على تعلم طرق النظر، وتعرف وجه الطلب. اطلع فيه على أسرار العلوم علماً علماً، وبين كيف التدرج من بعضها شيئاً فشيئاً، ثم بدأ بفلسفة " أفلاطون"، فعرف بغرضه منها، وسمى تآليفه فيها. ثم اتبع ذلك بفلسفة " أرسطوطاليس " فقدم له مقدمة جليلة، عرف فيها بتدرجه إلى فلسفته، ثم بدأ بوصف أغراضه في تآليفه المنطقية والطبيعية كتاباً كتاباً، حتى انتهى به القول – في النسخة الواصلة إلينا – إلى أول العلم الإلهي، والاستدلال بالعلم الطبيعي عليه. ولا أعلم كتاباً أجدى على طالب الفلسفة منه ؛ فإنه يعرف بالمعاني

(٢) السابق جـ٥ صـ١٥٤ .

المشتركة لجميع العلوم، والمعاني المختصة بعلم علم منها، ولا سبيل إلى فهم معاني " قاطيغورياس " – كتاب المقـــولات –، وكيف هي الأوائل الموضحة لجميع العلوم إلا منه. ثم له بعد ذلك في العلم الإلهي والعلم المدني – علم الأخلاق للفرد، وللأسرة، وللمجتمع – كتابان لا نظير لهما، أحدهما معروف بالسياسة المدنية، والآخر المعروف بالسيرة الفاضلة "[١].

بعد إتقان الفارابي للعلوم العقلية، رحل من بغداد إلى دمشق، بعد أن ألف بها أكثر كتبه، ومنها إلى مصر، وأكمل بها تصنيف بعض كتبه. ثم عاد إلى دمشق، وأقام بها. وكان مقرباً ومحبباً من سلطانها " سيف الدولة الحمداني "، وكان عزيز النفس عنده، لا يطلب منه شيئا.

وكان يناقش الحاضرين في مجلسه في كل فن، حتى إنه كان إذا تكلم كتب الحاضرون ما يقوله.

ويذكر المؤرخون أنه كان بارعاً في الموسيقى، وأنه ابتكر "آلة القانون"، ومن براعته أنه كان مرة في مجلس سيف الدولة فعزف على آلة القانون مرة فأضحكهم جميعاً، ثم عزف عليها أخرى فأبكاهم، ثم عزف عليها ثالثة فأنامهم جميعاً بما فيهم الحراس وتركهم وخرج[٢].

ومما اشتهر عن الفارابي، أنه كان يؤثر الوحدة والعزلة عن الناس، لئلا يشغله شئ عن التفكير والتأليف. وكان يختلف إليه طلاب العلم. وكانت أكثر تصانيفه في الرقاع.

ولفيلسوفنا الكثير من أبيات الشعر نقل بعضها ابن خلكان.

وكان يكسب قوته من عمل يده، فقد رأينا أنه اشتغل بالقضاء في بلدته قبل سفره لطلب العلم، وكان يعمل حارساً في وقت إقامته بدمشق[٣].

ومما اتسم به الفارابي الزهد والبعد عن زخارف الدنيا، وكان سيف الدولة يجري عليه مالاً، فكان يأخذ ما يكفيه لكل يوم أربعة دراهم لقناعته، ولو شاء الزيادة لأخذ ما يريد. ولم يتزوج.

وظل فيلسوفنا هكذا حتى توفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق، وصلى عليه سيف الدولة ومجموعة من خواصه، وعمره حوالي ثمانين عاما، ودفن بظاهر

(١) راجع السابق . والقفطي جـ١ صـ١١٨ .

(٢) راجع :وفيات الأعيان جـ٥ صـ١٥٥ ، ١٥٦

(٣) راجع : زايد . صـ١٧ .

دمشق خارج الباب الصغير – رحمه الله تعالى[١] –.

لقب المعلم الثاني: عرف في التاريخ الفلسفي أن أرسطو هو المعلم الأول ؛ لمكانته الكبيرة في الفلسفة والعمل على نشرها وتدوينها. ولما كان الفارابي له مكانة كبيرة في تاريخ الفلسفة، ولكثرة إنتاجه فيها، ومتابعته لكتب وآراء ودراسات أرسطو، وشرحه لنظرياته، حتى إنه يعتبر من أكبر الفلاسفة من بعده، وأعظم ناشر، وموضح، وشارح لآرائه، وتأثر الكثير من الفلاسفة بعده بأفكاره، فلا جرم أن لقب بالمعلم الثاني.

ثناء المؤرخين والعلماء عليه: سبق أن ذكرنا رأي كتاب التراجم في فيلسوفنا، وثناؤهم عليه. ومن ذلك أيضاً: قال " دي بور ": " كان الفارابي يعيش في عالم العقل ابتغاء الخلود، وكان ملكاً في عالم العقل. أما من حيث ما يقتني من متاع الدنيا فكان فقيراً، وكانت تسعده كتبه، والأطيار والأزهار في حديقته.... ولم تكن فلسفته ترمي إلى إشباع الرغبات المادية من أي نوع... كان فيلسوفنا فانياً في مجردات العقل المحض، وكان زهده وتقواه موضع العجب من معاصريه، وكان بعض تلاميذه يجلونه، ويرون أن الحكمة قد تجسدت فيه"[٢].

ويقول عنه " الشيخ مصطفى عبد الرازق ": "ولئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب، فإنه قد استحق ذلك، بما وهب حياته لخدمة العلم والحكمة، وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير البشري، وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة "[٣].

وقال عنه " ماسنيون ": " أول مفكر مسلم. كان فيلسوفاً بكل ما للكلمة من معنى"[٤].

وقال عنه " كارادة فو ": " التصوف يتخلل جميع مذهبه، وعبارات المتصوفة شائعة تقريباً في كل أقواله. وكأنما التصوف عنده ليس نظرية من النظريات، وإنما هو حالة ذاتية "[٥].

وأثنى عليه " روجر باركن " وعلى

---

(١) وفيات الأعيان نفس الموضع .

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام صـ٢٢٥ ، ٢٢٦.

(٣) فيلسوف العرب والمعلم الثاني .

(٤) التفكير الفلسفي صـ١٩٢ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية مادة : أبو نصر الفارابي .

بعض مؤلفاته، وذكره بين المقدمين في تاريخ تقدم الفكر، كإقليدس، وبطليموس، وسانت أوغستين... ولا يزال رجال الفلسفة والعلم في أوربا وأمريكا يهتمون به إلى اليوم "[١].

ومن التكريم له في العصر الحاضر، أن طبعت دولة " كازاخستان " صورته على العملات الورقية التي أصدرتها.

مؤلفات الفارابي: للفارابي مؤلفات كثيرة معظمها ألفها في بغداد، ودمشق. تأثر بها وتعلم عليها العرب والغرب في القديم والحديث. " انتشرت مؤلفات الفارابي في الشرق في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وانتقلت إلى الأندلس والمغرب، فتتلمذ عليها الكثير من الأندلسيين، وترجم بعضها إلى اللغة اللاتينية، وكذا إلى العبرية. وقد حفظت تلك الترجمات العبرية في مخطوطات تنازعتها مكتبات أوروبا، كما حفظ عدد من الترجمات اللاتينية التي نقلت عنها، أو عن الأصل العربي مباشرة... وبدأ المشتغلون بالفلسفة في نشرها منذ أخريات القرن الماضي، وترجم قسطا منها إلى بعض اللغات الأوروبية الحديثة"[٢].

" وقد كانت لمؤلفات الفارابي وابن سينا، أثر ظاهر في المؤلفات الفلسفية التي خلفها إبراهام بن داود الطليطلي٥٠٣هـ/١١١٠ – ٥٧٧هـ/ ١١٨٠م الذي حاول أن يوفق بين كتب اليهود المقدسة وفلسفة أرسطو "[٣].

وللفارابي مؤلفات ترجمت إلى لغات أخرى وفقد الأصلي العربي وبقى المترجم.

وكتب الفارابي تنقسم إلى قسمين: قسم شروح وتعاليق وتوضيح لكتب أفلاطون وأرسطو. وقسم من تأليفه وإنشائه.

وأهم مؤلفات الفارابي هي:

مقالة في أغراض الحكيم، وهي تحقيق غرض أرسطو في كتاب ما بعد الطبيعة. رسالة في إثبات المفارقات. شرح رسالة زينون الكبير اليوناني. رسالة في مسائل متفرقة. الجمع بين رأي الحكيمين. رسالة فيما يجب معرفته قبل تعلم الفلسفة. كتاب تحصيل السعادة. كتاب آراء أهل

---

(١) علماء العرب وما أعطوه للحضارة . قدري حافظ طوقان . صـ١٣٩ طبعة دار الكاتب العربي . بيروت .

(٢) زايد صـ٢١ .

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي نقلا عن زايد . الموضع السابق .

المدينة الفاضلة. كتاب السياسات المدنية. كتاب الموسيقى الكبير. إحصاء العلوم. عيون المسائل. التنبيه على سبيل السعادة. فصوص الحكم. مقالة في معاني العقل. تجريد رسالة الدعاوى القلبية المنسوبة لأرسطو. النكت فيما يصح وما لا يصح من أحكام النجوم. رسالة في جواب مسائل سئل عنها. تلخيص نواميس أفلاطون. كتاب في المنطق. مقالة في أغراض ما بعد الطبيعة. فضيلة العلوم والصناعات.

وبعض الكتب السابقة حفظت بحمد الله، ولم تندثر. ونشر وحقق الكثير منها.

يقول "كارادە فو": "وكان غرض الفارابي شأن غيره من فلاسفة مدرسته، أن يحيط بجميع العلوم. ويظهر أنه كان رياضياً بارعاً، وطبيباً لا بأس به. وكتب كذلك في العلوم الخفية. كما كان إلى جانب هذا موسيقياً متفنناً، ندين له بأهم رسالة من نظرية الموسيقى الشرقية. وكان يوقع على المزمور، ويؤلف الألحان. وقد أثارت عبقريته إعجاب سيف الدولة. ولا يزال دراويش المولولة يحفظون أغاني قديمة تنسب إليه "[1].

ومما يدل على الأثر البالغ لكتب الفارابي على من بعده، أن ابن سينا - وهو الفيلسوف الأشهر - تعلم عليها، ولنستمع إلى كلامه يقول: " قرأت كتاب ما بعد الطبيعة - لأرسطو - فما كنت أفهم ما فيه، والتبس على غرض واضعه، حتى أعدت قراءته أربعين مرة، وصار لي محفوظاً. وأنا مع ذلك لا أفهمه، ولا المقصود به. وآيست من نفسي. وقلت: هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه. وإذا أنا في يوم من الأيام، حضرت وقت العصر في الوراقين، وبيد دلال مجلد ينادي عليه، فعرضه عليّ، فرددته رد متبرم، معتقد أنه لا فائدة في هذا العلم. فقال لي اشتر مني هذا، فإنه رخيص، أبيعكه بثلاثة دراهم، وصاحبه محتاج إلى ثمنه. فاشتريته، فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي، في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة، فرجعت إلى بيتي، وأسرعت قراءتي، فانفتح لي في الوقت أغراض ذلك الكتاب، بسبب أنه قد صار لي على ظهر قلب. وفرحت بذلك. وتصدقت ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء، شكراً لله تعالى "[2].

(١) دائرة المعارف . الموضع السابق .

(٢) أخبار العلماء بأخبار الحكماء صـ١٧٦، ١٧٧ .

فانظر كيف كان الفارابي سبباً في اشتغال ابن سينا بالفلسفة، أو عودة اشتغاله بالفلسفة، وما عاد على من اشتغاله بالفلسفة من خير كثير على الفكر العالمي.

مدخل
في معنى السعادة والشقاوة

معنى السعادة في اللغة: السعد: اليمن. وهو نقيض النحس. والسعودة خلاف النحوسة، والسعادة خلاف الشقاوة. والجمع سعداء، والأنثى بالهاء سعده.

قال الأزهري: وجائز أن يكون سعيد بمعنى مسعود: من سَعّده الله. ويجوز أن يكون من سعد يسعد فهو سعيد. وقد سعده الله وأسعده.

ومنها: سعود النجوم، أو سعد نجمه وهي أربعة كواكب. ومنها في الدعاء: "لبيك وسعديك" أي إسعاد لك بعد إسعاد. وقال ابن الأثير: أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة وأسعاد بعد إسعاد... وإذا قيل أسعد الله العبد، وسعده، معناه وفقه الله لما يرضيه عنه، فيسعد بذلك سعادة.

وسمي الساعد في الذراع بذلك، لمساعدته الكف إذا بطشت شيئاً، أو تناولته. وجمع الساعد: سواعد. والساعد: مجرى المخ في العظام. والسواعد: مجارى الماء في النهر أو البحر. والساعد خشبة تنصب لتمسك البكرة، وجمعها السواعد. والسواعد: قصب الضرع. وقال أبو

عمرو: وهى العروق، التى يجئ منها اللبن. وسواعد البئر: مخارج مائها ومجارى عيونها. والسعيد النهى الذى يسقى الأرض بظواهرها، وجمعها سعد. والسعدانة: الحمامة. والسعدان: نبت ذو شوك، وهو من أطيب مراعى الإبل، مادام رطباً. والعرب تقول: أطيب الإبل لبناً ما أكل السعدان والخُريث. ويقال: مرعى ولاكالسعدان. والسَّعْد – بالضم – من الطيب، والسعادى مثله. وقال أبو حنيفة: السَّعْدة من العروق الطيبة الريح، والسَّعْد ضرب من التمر. والمساعدة: عامة فى كل معونة. يقال إنما سمى المساعدة المعاونة، من وضع الرجل يده على ساعد صاحبه، إذا تماشيا فى حاجة، وتعاونا على أمر. ويقال: ليس لبنى فلان ساعد: أى ليس لهم رئيس يعتمدونه. وساعد القوم: رئيسهم وساعد الإنسان: عضداه. وساعد الطائر: جناحاه. وساعدة: من أسماء الأسد.[1]

وكما نرى أن كل معانى مادة السعد فى اللغة، تدل على التفاؤل والخير وإيصال النفع إلى النفس أو الغير.

وفى البصائر: السعادة: معاونة الأمور الإلهية للإنسان، على نيل الخير. وأعظم السعادات: الجنة. ولذلك قال تعالى: "وأما الذين سعدوا ففى الجنة"[2]

معنى الشقاوة: الشقاء، والشقاوة بالفتح: ضد السعادة، يمد ويقصر. شقى يشقى شقا وشقاء، وشقاوة، وشقوة، وشقوة. وفى التنزيل العزيز: ربنا غلبت علينا شقوتنا [3].. وشقاه فشقاه كان أشد شقاء منه. وأشقاء الله: فهو شقى بين الشقوة وفى الحديث: الشقى من شقى فى بطن أمه. وقد تكرر ذكر الشقى والشقاء والأشقياء فى الحديث، وهو ضد السعيد والسعداء والسعادة. والمعنى: أن من قدر الله عليه فى أصل خلقته أن يكون شقياً، فهو الشقى على الحقيقة، لا من عرض له الشقاء بعد ذلك، وهو إشارة إلى شقاء الأخرة لا الدنيا... والشقاء: الشدة والعسرة. وشاقيته: أى صابرته. ويقال

---

[1] – لسان العرب. جمال الدين ابن منظور. مادة. س ع د.ط. دار المعارف بدون.

[2] – بصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز. مجد الدين محمد من يعقوب الفيروزابادى. تحقيق محمد على النجار. بصيرة فى سعيد. ط . المجلس الأعلى للشئون الأعلى للشئون الأسلامية الطبعة الثالثة . سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. والآية فى سورة هود من رقم ١٠٨.

[3] – سورة المؤمنون من الآية ١٠٦

شاقيت ذلك الأمر: بمعنى عانيته. والمشاقاة: المعالجة فى الحرب وغيرها. والمشاقاه: المعاناة والممارسة.[1]

وفى البصائر: شقى يشقى شقوة – بالكسر–، وشقاوة وشقاء. فالشقوة كالردة، والشقاوة كالسعادة من حيث الإضافة. والشقاوة – كالسعادة – دنيوية وأخروية والشقاوة الدنيوية تنقسم إلى نفسيه وبدنية وخارجية ويقول تعالى فى الشقاوة الأخروية: "فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى"[2] وفى الدنيوية: "فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى"[3]. وقيل قد وضع الشقاء مع التعب، فكل شقاوة تعب، وليس كل تعب شقاوة.[4]

تعريف السعادة عند الفارابى:

لأن فلسفة الفارابى كلها منصبة حول السعادة – كما سيتضح–، فإنه لم يذكر تعريفاً محدداً حاصراً للسعادة. وكأنه أراد – فيما يبدو لى – أن يفرغ نظريته كلها مرة واحدة، وتصل إلى نفس القارئ أيضاً مرة واحدة، حتى يتضح معنى وحقيقة السعادة، وكيفية تحصيلها. وإن كان يمكن أن يستنبط معنى السعادة من خلال كلامه.

فهى: الخير، والكمال، الذى يؤثره، وتتشوق إليه نفس كل إنسان. وهى الغاية التى يسعى لنيلها الإنسان.[5]

أو هى: "أن تصير نفس الإنسان، من الكمال فى الوجود، إلى حيث لا تحتاج فى قوامها إلى مادة: وذلك أن تصير فى جملة الأشياء البريئة عن الأجسام، فى جملة الجواهر المفارقة للمواد. وأن تبقى على ذلك الحال دائماً أبداً، إلا أن رتبتها تكون دون رتبة العقل الفعال"[6]

طرق تحصيل السعادة عند الفارابى

السعادة عند الفارابى، تمثل جماع فلسفته، فموضوعات فلسفته قائمة على السعادة، إما بذكر الأسباب الموصلة إليها، أو النتائج المترتبة عليها.

ويمكن القول: إن هناك ثلاثة أركان، أو أعمدة رئيسة، تعتمد عليها

---

[1] –راجع: لسان العرب. مادة شقا

[2] – سورة طه

[3] – سورة طه من الأية ١١٧

[4] – البصائر. بصيرة فى شقو

[5] – راجع: التنبيه على سبيل السعادة. تحقيق: د. سحبان خليفان. ص ١٧٧، ط، عمان. الطبعة الأولى. سنة ١٩٨٧م.

[6] – التفكير الفلسفى ص٢١٣.

نظريته فى السعادة بين هذه الأعمدة تداخل، لا يمكن فصل أحدهما عن الباقى. هذه الأعمدة قائمة على: الاتصال بالعقل الفعال، والقرب منه، ومحاولة التشبه به ومماثلته. فإذا اتصل الإنسان بالعقل الفعال فإن يفيض عليه من العلوم والمعارف ما يحصل به السعادة. وإذا عرف هذه العلوم، سواء منها ما هو بالاكتساب، أو بالمنحة، فإنه يقوم بتطبيق هذا على أرض الواقع، وهذا يكون بإيجاد مدينة فاضلة، تحقق، ويتحقق فيها السعادة.

إذاً: الأعمدة الثلاثة، القائمة عليها نظرية السعادة هى:

١. الاتصال بالعقل الفعال، والتشبه به.

٢. العلوم والمعارف، وأهمها علم الفلسفة، وفن المنطق كمدخل له.

٣. المدينة الفاضلة كتطبيق عملى لتحقيق السعادة.

وعلى هذا: سيكون البحث فى هذه الموضوعات الثلاثة.

المبحث الأول

الاتصال بالعقل الفعال والتشبه به والسعادة

قبل بيان رأى الفارابى فى هذه المسألة، ينبغى أولاً معرفة رأيه فى:

١. مراتب الوجود.

٢. أقسام العقل. فنقول:

١. مراتب الوجود:

يقسم الفارابى مراتب الموجودات إلى ست مراتب وهذا التقسيم بناء على نظريته فى الفيض والعقول العشرة.

فالمرتبة الأولى فى الوجود، الله سبحانه وتعالى. وبعلمه لذاته صدر عنه العقل الأول.

العقل الأول بتعقله للأول – الله – صدر عنه العقل الثالث، وبتعقله لذاته صدر عنه السماء الأولى.

والعقل الثانى بتعقله للأول، صدر عنه العقل الثانى، وبتعقله لذاته صدر عنه الكواكب الثابتة.

والعقل الثالث بتعقله للأول، صدر عنه العقل الرابع، وبتعقله لذاته صدر عنه كرة زحل.

والعقل الرابع بتعقله للأول، صدر عنه العقل الخامس، وبتعقله لذاته صدر عنه كرة المشترى.

والعقل الخامس بتعقله للأول، صدر عنه العقل السادس، وبتعقله لذاته صدر عنه كرة المريخ.

والعقل السادس بتعقله للأول، صدر عنه العقل السابع، وبتعقله لذاته صدر عنه كرة الشمس.

والعقل السابع بتعقله للأول، صدر عنه العقل الثامن، وبتعقله لذاته صدر عنه كرة الزهرة.

والعقل الثامن بتعقله للأول، صدر عنه العقل التاسع، وبتعقله لذاته صدر عنه كرة عطارد.

والعقل التاسع بتعقله للأول، صدر عنه العقل العاشر، وبتعقله لذاته صدر عنه كرة القمر.

والعقل العاشر صدر عنه العقل الفعال. وعنده ينتهى الوجود الذى يحتاج إلى مادة، وعند القمر تنتهى الأجسام السماوية. وكل هذه العقول فى المرتبة الثانية فى الوجود.

والعقل الفعال فى المرتبة الثالثة.

والنفس فى المرتبة الرابعة.

والصورة فى المرتبة الخامسة.

والمادة فى المرتبة السادسة.

والمراتب من الثالثة إلى الخامسة، تلابس الأجسام، وليست أجساماً.

والمرتبة السادسة وهى الأجسام. منشؤها القوة المتخيلة، فنشأت الأجسام السماوية ثم الحيوان الناطق. ثم الحيوان غير الناطق. ثم أجسام النبات. ثم المعادن. ثم الاستقسات الأربعة، وهى العناصر البسيطة، التى يتكون منها العالم السفلى. وهى: الماء، والتراب، والهواء، والنار.[1]

١ . أقسام العقل:

العقل عند الفارابى، يمثل الإنسان على الحقيقة، كما أن له علاقة وثيقة بنظرية المعرفة، والعقول العشرة، وغيرها من آرائه الفلسفية.

والفارابي يقسم العقل إلى قسمين عملي ونظري.

أولاً: العقل العملي:

وبه يعرف الإنسان الصناعات والمهن المختلفة. وبه يحصل معرفة الجزئيات. وهو مبدأ السلوك الأخلاقي. والعاقل من كان فاضلاً جيد الرؤية في استنباط ما ينبغي أن يؤثر من خير أو يبعد

---

[1] – راجع: آراء أهل المدينة الفاضلة. الفارابى، تحقيق: د. البير نصرى نادر. ص ٦١، ٦٢. ط. دار المشرق وانظر: السياسات المدنية، الفارابى. تحقيق: فوزى متري بحار، صـ ٣١ وما بعدها، ط ، المطبعة

عن شر[١].

ثانياً: العقل النظري:

وبه تكون المعرفة، وإدراك الكليات، وتمييز الحق من الباطل. وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

١- العقل الهيولاني:

ويسمى أيضاً العقل بالقوة. وهو أول درجات العقل أو المعرفة العقلية بعد الحس.

ويقوم بانتزاع ماهيات الأشياء وصورها من الحس دون موادها ؛ وبذلك يستطيع إدراكها.

والعقل الهيولاني في هذه الحالة يكون أشبه بالصفحة البيضاء المهيأة والقابلة لتلقي المعارف والعلوم عليها. أو أشبه بالمادة الخام القابلة لتصنيعها أو اتخاذها أي شكل. فما يأتي من الحس ينطبع وينقش فيه، كما تنقش الصورة على الشمع. وهذا النقش من المعقولات.

فالأشياء المحسوسة بمثابة معقولات بالقوة، وتنتقل إلى معقول بالفعل حينما تصبح في الذهن بانتزاعها من المحسوسات عن طريق العقل الهيولاني هذا.

٢ - العقل بالفعل ويسمى أيضاً العقل بالملكة.

وهو مرحلة تالية للعقل الهيولاني الذي يلي الحس. فعندما تنطبع الصور في العقل الهيولاني، وتثبت فيه، يصبح عقلاً بالفعل، بعد أن كان عقلاً بالقوة.

والعقل بالفعل أسمى من العقل بالقوة.

ويتدرج الذهن إليه بعد حصوله على مجموعة من المعقولات، فإذا لم يكن يدركها ظل عقلاً بالقوة، وإدراكها يكون بانتزاعها من موادها، وبالتالي يصبح بها العقل عقلاً بالفعل. "وللمعقولات وجودان، وجود بالقوة في المحسوسات قبل أن تعقل، وآخر في العقل ؛ فإذا عقل الإنسان بالتجريد الذهني - المعقولات المجردة - ووصل عقله إلى مرتبة العقل بالفعل، لم يكن بذلك قد عقل شيئاً خارجاً عن ذاته"[٢].

٣- العقل المستفاد.

وهو آخر درجة في سلم ترقي درجات العقول. وعندما يصبح العقل في هذه الدرجة، يكون قادراً على إدراك الصورة المجردة، التي لم تخالط المادة أصلاً،

(١) راجع : أعلام الفلسفة . صـ١٧٧ .

(٢) الثمرة المرضية ص٢٣.

ويكون هذا بكثير من الرياضات. فإذا كان العقل بالفعل يدرك المعقولات المجردة، وهي التي كانت في مواد، وانتزعت منها، فإن العقل المستفاد، يستطيع أن يدرك الصور المجردة. وهذه تمتاز عن المعقولات المجردة بأنها لم تخالط المادة قط، ولم تكن فيها بحيث تنتزع منها، ولكنها دائماً مفارقة للمادة؛ وذلك مثل العقول السماوية أو العقول المفارقة.

وإذا كانت كل مرحلة من مراحل العقول السابقة، يتم الانتقال منها إلى ما بعدها بنفسها، فإن انتقال العقل من مرحلة القوة إلى الفعل، لا يتم إلا بواسطة العقل الفعال (العاشر)[١].

وليس بإمكان كل إنسان أن يصل إلى درجة العقل المستفاد، فمرتبته أسمى مراتب الإدراك البشري، ولا يبلغها العقل بالفعل إلا بعد أن تصير فوق العقل المنفعل أتم وأشد مفارقة للمادة، ومقارنة من العقل الفعال... ولا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر[٢].

وبما أن البشر متفاوتون في درجات عقولهم، وأعلاها العقل المستفاد، فإنهم كذلك متفاوتهم في معلوماتهم ومعارفهم. ومن يصل منهم إلى درجة العقل المستفاد، فهو الذي ينكشف له الخفي مما لا يعلمه غيره من الناس. وفي هذه الحالة يتصل مباشرة بعالم العقول المفارقة، وهم أصحاب النفوس الخالدة. فالنفس الخالدة هي التي تبلغ مرتبة العقل المستفاد، وتصبح في غنى عن المادة، قادرة على الإتصال بالعقل الفعال، فتصبح حينئذ إلهية، بعد أن كانت نفساً مادية[٣].

٤ - العقل الفعال.

وهو ليس درجة من درجات العقول الإنسانية، أو مرحلة من مراحل صعودها، ولكنه عقل خارج الإنسان، يتصل به الإنسان فيهبه الصور.

والعقل الفعال عند الفارابي هو (الروح الأمين)، أو (روح القدس) - سيدنا جبريل عليه السلام - والمعقولات موجودة في العقل الفعال، وهو الذي يمنحها للعقل الإنساني، الذي وصل إلى درجة العقل المستفاد.

فبالعقل الفعال الوصول إلى المعلومات، وبه معرفة مدى صحة هذه

(١) راجع : الثمرة المرضية . صـ٤٣ وما بعدها . وآراء أهل المدينة صـ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) آراء . صـ٨٤ .

(٣) راجع : زايد صـ٥٠ .

المعلومات.

ويسمى عقلاً فعالاً ؛ لأن العقل المستفاد عند الإنسان ينفعل به، ويتأثر به، ويأخذ عنه " ومن هذا يظهر تلاقي نظرية المعرفة عند الفارابي، بنظريته في الفيض، ويظهر أيضا ألتقاء الفلسفة بالتصوف"[١].

بعد ذلك نقول: العقل الفعال عند الفارابي – كما سبق – هو الروح الأمين، أو الروح القدس، جبريل – عليه السلام –، ومهمته أن يجعل الإنسان، يبلغ السعادة القصوى؛ وذلك بفيضه عليه بالعلوم، وبابتعاده به عن الماديات. يقول الفارابي: "والعقل الفعال، فعله العناية بالحيوان الناطق، والتماس تبليغه أقصى مراتب الكمال، الذى للإنسان أن يبلغه. وهو السعادة القصوى؛ وذلك بأن يصير الإنسان فى مرتبة العقل الفعال. وإنما يكون ذلك؛ بأن يحصل مفارقاً للأجسام، غير محتاج فى قوامه إلى شيء آخر مما هو دونه، من جسم، أو مادة، أو عرض. وأن يبقى على ذلك الكمال دائماً. والعقل الفعال ذاته واحدة أيضاً؛ ولكن رتبته تحوز أيضاً ما تخلص من الحيوان الناطق. وفاز بالسعادة.

والعقل الفعال هو الذى ينبغى أن يقال له: الروح الأمين. وروح القدس. ويسمى بأشياء غير هاتين من الأسماء. ورتبته تسمى الملكوت، وأشباه ذلك من الأسماء" [٢]

ولم يبلغ الإنسان درجة الاتصال بالعقل الفعال، إلا إذا وصل قبلها إلى مرحلة العقل بالفعل، الذى يمنحه له العقل الفعال. يقول الفارابي: "... من ذلك القوة الناطقة التى بها الإنسان، ليست هى فى جوهرها عقلاً بالفعل، ولم تعط بالطبع أن تكون عقلاً بالفعل، ولكن العقل الفعال، يصيرها عقلاً بالفعل، ويجعل سائر الأشياء، معقولة بالفعل للقوة الناطقة، فإذا حصلت القوة الناطقة عقلاً بالفعل، صار أيضاً ذلك العقل، الذى هو الآن بالفعل، شبيهاً بالأشياء المفارقة. يعقل ذاته التى هى بالفعل عقل، وصار المعقول منه هو الذى يعقل، ويكون حينئذ جوهراً يعقل، بأن يكون معقولاً من جهة ما يعقل، فيكون حينئذ العاقل والمعقول فيه شيئاً واحداً بعينه. فبهذا يصير فى رتبة العقل الفعال. وهذه الرتبة إذا بلغها الإنسان؛ كملت سعادته " [٣]

(١) السابق . صـ ٥١ .

(٢) السياسة المدنية ص ٣٢.

(٣) السياسة المدنية ص ٣٥.

ولكن كيف يستفيد الإنسان من العقل الفعال ويتصل به؟.

يبين الفارابى مثالاً يوضح فيه ما يصبوا إليه. وهو أن منزلة الإنسان من العقل الفعال كمنزلة البصر من الشمس، فكما أن الشمس تعطى البصر الضوء، فيصبح البصر بما استفاد من ضوء الشمس مبصراً بالفعل، بعد أن كان مبصراً بالقوة، وبهذا الضوء الذى مصدره الشمس يبصر الشمس ذاتها، كما يبصر الألوان بالفعل، بعد أن كانت بالقوة، ويصير البصر نفسه بعد أن كان بالقوة بصراً بالفعل.

كذلك العقل الفعال يفيد الإنسان شيئاً يرسمه فى قوته الناطقة، ومنزلة ذلك الشيء من النفس الناطقة، منزلة الضوء من البصر وبهذا الشيء تعقل النفس الناطقة. العقل الفعال، وبهذا الشئ أيضاً تصير الأشياء من كونها معقولة بالقوة، إلى معقولة بالفعل "والكمال إلى أن يصير فى قرب من رتبة العقل الفعال، فيصير عقلاً بذاته، بعد أن لم يكن كذلك، ومعقولاً بذاته بعد أن لم يكن كذلك. ويصير إلهياً بعد أن كان هيولانياً. فهذا هو فعل العقل الفعال، ولهذا سمى العقل الفعال". [١]

وحتى يتحقق للإنسان السعادة، فإن العقل الفعال يجعله يتخلص من المادة؛ لأنه قابل لذلك، فيصير قريباً منه، وتصير المعقولات التى هى بالقوة، معقولات بالفعل، ويصير العقل الذى كان بالقوة عقلاً بالفعل، وهذا لا يتحقق إلا للإنسان من الموجودات الأرضية، وبهذا تتحقق السعادة القصوى، التى هى أفضل ما يمكن للإنسان أن يبلغه من الكمال.

والعقل الفعال يعطى الإنسان قوة أو مبدأ، يستطيع من خلاله أن يسعى، أو به يقدر أن يسعى من تلقاء نفسه، وذلك المبدأ هو العلوم الأول، والمعقولات الأول، التى تحصل فى الجزء الناطق من النفس، ويكون ذلك بعد حصول الإنسان على الجزء الحاس من النفس، والجزء النزوعى الذى يكون به الشوق والكراهة التابعان للحاس، وآلاتهما من أجزاء البدن، وبهما تحصل الإرادة.

ويفصل الفارابى فى بيان قوى النفس، حتى يحصل الإنسان على المعارف عن طريق العقل الفعال، وبهذه القوى، يتمكن الإنسان من فعل الجميل، وترك القبيح للوصول إلى السعادة. يقول الفارابى: "فإن الإرادة إنما هى شوق عن إحساس. والشوق يكون بالجزء النزوعى.

١- السابق. صـ ٣٦

والإحساس بالجزء الحاس. ثم إن يحصل من بعد ذلك الجزء المتخيل من النفس، والشوق التابع له، فتحصل إرادة ثانية بعد الأولى، فإن هذه الإرادة هى شوق عن تخيل، فمن بعد أن يحصل هذا، يمكن أن تحصل المعارف الأول، التى تحصل من العقل الفعال فى الجزء الناطق، فيحدث حينئذ فى الإنسان نوع من الإرادة ثالث، وهو الشوق عن نطق، وهذا هو المخصوص باسم الاختيار، وهذا هو الذى يكون فى الإنسان خاصة، دون سائر الحيوان، وبهذا يقدر الإنسان أن يفعل المحمود والمذموم، والجميل والقبيح، ولأجل هذا يكون الثواب والعقاب. وأما الإرادتان الأوليان، فإنهما قد يكونا فى الحيوان غير الناطق، فإذا حصلت هذه فى الإنسان، قدر بها أن يسعى نحو السعادة، وإن لا يسعى، ولا يقدر أن يفعل الخير، وأن يفعل الشر، والجميل، والقبيح".[1]

الخير الإرادى سبيل السعادة: بين الفارابى أن السعادة هى الخير على الإطلاق، وكذا كل ما يوصل إلى السعادة، فهو أيضاً خير، وخيريته لأجل نفعه فى السعادة. وفى المقابل فإن كل ما عاق وحال عن السعادة، فهو شر على الإطلاق. والخير النافع فى بلوغ السعادة، قد يكون شيئا مما هو موجود بالطبع، وقد يكون بإرادة وأيضاً الشر الذى يعوق عن السعادة، قد يكون أيضاً بالطبع وقد يكون بإرادة. والخير النافع وكذا الشر، الذى يكون بالطبع، فإن الأجسام السماوية تفعل ذلك، لا لغرض معاونة العقل الفعال، ولكن لأن ذلك فى طبيعتها.

وأما الخير الإرادى، والشر الإرادى، والذى بها يكون الجميل والقبيح، فإنها يحدثان فى الإنسان خاصة؛ وذلك بقوة من قوى النفس الموجودة فيها، فإن قوى النفس – كما يرى الفارابى – خمس قوى: القوة الناطقة النظرية. والناطقة العملية. والنزوعية. والمتخيلة، والحاسة والسعادة التى يعقلها الإنسان، ويشعر بها، تكون بالقوة الناطقة النظرية. ويكون ذلك باستعمال الإنسان، المبادئ والمعارف الأول التى أعطاها أياه العقل الفعال "فإذا عرفها ثم اشتاقها بالقوة النزوعية، وروّى فيما ينبغى أن يعمل، حتى ينالها بالناطقة العملية، وفعل تلك التى استنبطها بالروية من الأفعال بآلات القوة النزوعية، وكانت المتخيلة والحاسة اللتان فيه مساعدتين،

---

[1] – السيادة . صـ ٧٢

ومنقادتين للناطقة، ومعينتين لها فى إنهاض الإنسان نحو الأفعال التى ينال بها السعادة، كان الذى يحدث حينئذ من الإنسان خيراً كله، فبهذا الوجه وحده، يحدث الخير الإرادى".[1]

وأما حدوث الشر الإرادى المنافى للسعادة، يكون ذلك لعدم شعور المتخيلة والحاسة بالسعادة، ولا الناطقة أيضا تشعر بالسعادة فى كل حال، ولكنها تشعر بذلك أذا سعت نحو إدراكها، من أجل ذلك يحدث للإنسان، ما يتخيل أنه سعادة على غير الحقيقة، مثل: اللذيذ، والكرامة، والنافع وأمثال ذلك. وإذا تباطأ الإنسان، وتوانى نحو تكميل الجزء الناطق النظرى، فلا يشعر بالسعادة، ويتجه إلى شئ غير السعادة يتخيله سعادة، ويشتاق ذلك بالقوة النزوعية، فإذا "روى فى استنباط ما ينال به تلك الغاية بالناطقة العملية، وفعل تلك الأشياء التى استنبطها بآلات القوة النزوعية، وساعدته المتخيلة والحاسة على ذلك، كان الذى يحدث حينئذ شراً كله، وكذلك إذا كان الإنسان قد أدرك السعادة وعرفها، إلا أنه لم يجعلها وكده وغايته، ولم يتشوقها، أو تشوقها تشوقاً ضعيفاً، وجعل غايته التى يتشوقها فى حياته شيئاً آخر سوى السعادة، واستعمل سائر قواه فى أن ينال بها تلك الغاية، كان الذى يحدث عنه شراً كله".[2]

وإن كان العقل الفعال يعطى الإنسان المعقولات الأول، التى تكون سبباً للوصول إلى السعادة، فإنه ليس كل إنسان معداً لقبولها، لأن أفراد الإنسان، تكون بالطبع على قوى متفاضلة. فمن يقبل هذه المعلومات، على جهتها الحقيقية، فهم الذين فطرهم الإنسانية سليمة، وهم يستحقون نيل السعادة.

والناس الذين فطرهم سليمة، مشتركون جميعاً فى الاستعداد لقبول معقولات مشتركة لجميعهم، ويسعون بها نحو أمور وأفعال مشتركة لهم أيضاً، ثم يتفاوتون بعد ذلك فى الاستعداد لقبول أشياء أخر، فتصير لهم فطر تخص كل واحد منهم، وكل طائفة، فيكون بعضهم معداً لقبول طائفة من المعقولات، وغيرهم معد لقبول طائفة أخرى، وهكذا. وكذلك قد يتفاوتون فى القوى، التى يستنبطون بها الأمور، التى يمكن أن تدرك بالاستنباط. ويمكن أن يكون استنباط

---

[1] – السابق. صـ ٧٣

[2] – السابق. صـ ٧٤

بعضهم أقوى من بعض.

وإذا كانت قوى الناس، تختلف في الاستعدادات لقبول المعقولات التي تؤدي إلى السعادة، وإذا كان المقصود بوجود الإنسان، أن يبلغ درجة السعادة القصوى، فإنه يحتاج في بلوغها إلى أن يعلم السعادة، ويجعلها غايته، وأمام عينه دائماً. ويعلم الأشياء التي ينبغي أن يعلمها لبلوغ السعادة، وأن يعمل تلك الأعمال.

ولأجل اختلاف فطر الناس، وحتى نصل إلى كل ما مضى فلابد من معلم ومرشد. وبعض الناس يحتاج إلى إرشاد يسير، وبعضهم يحتاج إلى أكثر. كما أنه لابد في المعلم والمرشد من أن يحفزهم على العمل، ومن يقوم بهذا يكون رئيساً على غيره. ومن لم يتمكن من هذا يكون مرؤوساً. يقول الفارابي: "ومن كانت له قوة على أن يرشد غيره إلى شيء ما، ويحمله عليه، أو يستعمله فيه، فهو رئيس في ذلك الشيء على الذي ليس يمكنه أن يفعل ذلك الشيء من تلقاء نفسه، ولكنه كان إذا أرشد إليه وعلمه فعله، ثم كانت له قوة على أن يُنهض غيره نحو ذلك الشيء الذي علمه وأرشد إليه ويستعمله فيه، كان هذا رئيساً على إنسان، ومرؤوساً على إنسان آخر، والرئيس قد يكون رئيساً أولاً، وقد يكون رئيساً ثانياً، فالرئيس الثاني هو الذي يرأسه إنسان، ويرأس هو إنساناً آخر ... فالرئيس الأول على الإطلاق هو الذي لا يحتاج ولا في شيء أصلاً أن يرأسه أنسان، بل يكون قد حصلت له العلوم والمعارف بالفعل، ولا تكون له به حاجة في شيء إلى إنسان يرشده، وتكون له قدرة على جودة إدراك شيء بشيء مما ينبغي أن يعمل من الجزئيات، وقوة على جودة الإرشاد لكل من سواه".[1] كما هو عند رئيس المدينة الفاضلة – كما سبق –.

نظرة نقدية لرأي الفارابي في العقل الفعال وعلاقته بالسعادة:

رأينا فيما سبق، أن نظرية الفارابي في السعادة، مبنية في جزء منها، على القول بالعقول العشرة، وقدم العالم، وصدور العالم عن العقل الفعال؛ لأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد. ولاشك أن بطلان هذه الأمور، يبطل قوله بفيض السعادة عن العقل الفعال. فنرد على هذه الأمور. فنقول.

– أن نظرية الفيض تتعارض مع القول بالخلق المباشر من الله عز وجل.

١- السابق ص ٧٨، ٧٩.

وقد صرحت الديانات السماوية جميعاً بهذا. وورد كثير من آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي – ﷺ – مصرحة بذلك. منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1].

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

وكذلك أحاديث النبي ﷺ ومنها: "... كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض "[3].

وفي رواية: "... كان الله ولم يكن شيء قبله..."[4].

– أن هذا القول على سبيل التخرص والتخمين والظن، والظن لا يغني من الحق شيئا. ومادام قد وردت نصوص بهذا فلنقف عند ما ورد ونقول سمعنا وأطعنا ولا دخل للعقل في هذا بأي وجه من الوجوه. يقول تعالى: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[5].

– أن الفارابي بنى نظرية الفيض، وبالتالي القول بقدم العالم وصدور الموجودات عن العقل الفعال بناء على أن علم الله تعالى مصدر لإيجاد الشيء، فإذا علم الله تعالى شيئا أوجده. نقول إن علم الله تعالى لا يتعلق بالموجودات فقط من واجبات وممكنات، بل علمه تعالى يتعلق أيضا بالمستحيلات. فهل علمه تعالى بالمستحيل يقتضي وجود هذا المستحيل كشريك للباري تعالى ؟.

– إن هذه النظرية والقول بالقدم رد

---

(١) سورة فصلت . الآيات : ٩ – ١٢ .

(٢) سورة يس . الآية : ٨٢ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه بسنده عن عمران بن حصين كتاب بدء الخلق . باب ما جاء في قول الله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده} . حديث رقم ٣١٩١ .

(٤) السابق . حديث ٧٤١٨ . باب وكان عرشه على الماء .

(٥) سورة الكهف . الآية : ٥١ .

عليه الكثير من علماء الإسلام، وعلى مر التاريخ ولعل من أشهر من رد عليها الإمام الغزالي – رحمه الله – من زوايا متعددة منها:

١– أن القول بأن العالم معلول عن الله، والله علة العالم، يجعل التلازم بينهما ضروري. وهذا ينفي عن الله تعالى الإرادة والقصد والاختيار. وكأن العالم وجد عن الله تعالى، ولا يستطيع الله له دفعاً، فإن الفاعل هو الذي يصدر عنه الفعل عن قصد وإرادة واختيار. وبالتالي يبطل هذا الكلام من طريق الفاعل.

٢– أن العالم قديم فاض عن الله بما فيه، وبالتالي لا يكون مصنوعاً أو مخلوقاً أو فعلاً لله تعالى. والمفعول هو إخراج الشيء من العدم للوجود، أو الكائن عن الفاعل، وبالتالي يبطل هذا الكلام عن طريق المفعول.

٣– أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد – كما يقول الفارابي – والعالم مركب وكثير، فلابد ألا يكون فعلاً لله، والوسائط يلزم عليها شئ مركب، والوسائط عن الله، وهذا يبطل القول بصدور الواحد عن الواحد[1].

– حصر العقول في عشرة غير مفهوم، وتحكم غير مبرر. فلماذا عشرة عقول فقط؟

وفي الحقيقة هذا من أشد نقاط الضعف في هذه النظرية المتهافتة، وكان هذا مطعن كبير ممن اتهم الفلسفة والفلاسفة بعدم المعقولية في بعض الأمور.

يقول ابن خلدون: "فأما إسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول، واكتفاؤهم به في الترقي إلى الواجب، فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله. فالوجود أوسع نطاقا من ذلك ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2]. وكأنهم على اقتصارهم على إثبات العقل فقط، والغفلة عما وراءه، بمثابة الطبيعيين المقتصرين على إثبات الأجسام خاصة، المعرضين عن النقل والعقل، المعتقدين أنه ليس وراء الجسم في حكمة الله شئ"[3].

ولعل ما قاله الإمام الغزالي في الرد عليها أبلغ تعبير في الدلالة على بطلانها فقد بين أنها " إذا حكيت عن إنسان عن

(١) راجع : تهافت الفلاسفة صـ١٠٣ وما بعدها.

(٢) سورة النحل . من الآية : ٨ .

(٣) المقدمة . صـ٢٣٠ .

رؤيا رآها في المنام لاستدل بها على سوء مزاجه[1].

والإمام الشهرستاني بعد إيراد رأي الفلاسفة في العقول العشرة، وفي نظرية الفيض، يرد عليهم، بأن العقل الأول على كلامكم، لا يصدر عنه موجود. فيقول: " كون العقل الأول عقلاً، أمر سلبي عندكم ؛ لأن معنى كونه عقلاً، أنه مجرد عن المادة، والتجريد عن المادة سلب المادة ونفيها، والنفي كيف يناسب وجود جوهر عقلي، هو عقل، كيف والسلوب كثيرة، فهلا أوجب بكل سلب جوهراً عقلياً ؛ فإنه كما يسلب عنه المادة، يسلب عنه الصورة، أعني الصورة الجسمية، ويسلب منه الكيفية، والكمية، والوضع، والحيز، والمكان، والزمان. ولم يجب أن يقال يلزم عنه بكل سلب جوهر عقلي. ومثل هذه السلوب تتحقق في حق واجب الوجود أيضاً، ولا يوجب كل سلب جوهراً عقلياً. وإن سلم ذلك، حصل غرضنا من إضافة الكل إليه.

ثم نقول: لم صار كونه واجب الوجود بغيره، أولى بإيجاب نفس من كونه مجرداً عن المادة. ولو عكس الأمر، فجعل ما ذكرتموه بالغير، موجباً للعقل، وما ذكرتموه من التجرد عن المادة موجباً للنفس، أي محال كان يلزم منه ؟ وأي خلل كان يحصل ؟ وهل هذا إلا تحكم بارد ؟ يبني عن تقليد، أو تقليد أسند إلى تحكم[2].

والإمام الرازى، الذى لخص الإشارات لابن سينا، بعد ذكره لنظرية الفيض، والعقول العشرة، وأن الواحد لا يعقل إلا واحداً، وإن كان العالم وما يصدر عنه العقل المستفاد. يقول: "وهو فى نهاية السقوط" وأخذ يعدد الوجوه على بطلان ذلك.[3]

وابن تيميه يرد على أن العقل الفعال هو جبريل. فيقول: "ثم يريد أن يوفق بين هذا، وبين ما أخبرت به الرسل، فيقول: هذه العقول هى الملائكة، التى أخبرت بها الأنبياء. وقد يقول عن هذا العقل الفعال إنه جبريل، الذى ما هو على الغيب بضنين – أى ببخيل –؛ لأنه دائم الفيض

(١) تهافت الفلاسفة .

(٢) نهاية الأقدام في علم الكلام . الإمام الشهرستاني . صـ٢٢ . تحقيق : الفرير جيوم . طبعة مكتبة زهران . القاهرة .

(٣) لباب الإشارات. الإمام فخر الدين الرازى. ص ١٧٠ – ١٧٣. تحقيق: د.أحمد حجازى السقا.ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

بزعمه؛ لكن يحصل الفيض بحسب استعداد القوابل، ومن المعلوم بالاضطرار، لكل من تدبر ما أخبرت به الرسل من صفات الملائكة، أن هذه العقول، التي وصفها هؤلاء الفلاسفة، ليست هي الملائكة. فإنا نعلم بالاضطرار، أنهم لم يجعلوا ملكاً واحداً أبدع جميع ما سوى الله تعالى، ولا ملكاً أبدع جميع ما تحت السماء، ولا جعلوا الملائكة أرباباً ولا آلهة؛ بل قد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١)... فغاية الملك أن يكون شافعاً عند الله، ولا يشفع إلا من بعد إذنه. (٢)

(أ) أن هذه النظرية تعتبر الفيض قديماً، ولا تقول بخلق العالم في الزمان عن العدم.

(ب) أن الله تعالى بعيد عن العالم، ولا علاقة له به، والعقل الفعال هو الذي يتولى أمر العالم ويقوم بسياسته، وهذا يتعارض مع علم الله بالجزيئات الذي أثبته الفارابي نفسه. (٣)

(ج) يلزم على هذه النظرية القول بسعادة روحية فقط، ويكون ذلك بتأمل العقل الفعال بعد الموت، ولا يوجد بعث جسدي، وتنتهي هذه النظرية إلى القول بوحدة الوجود.

(د) أننا لا نعرف شيئا عن الله تعالى، وهذا يؤدي إلى قول السوفسطائية اللاأدرية وهو كلام باطل متهافت، وهذا يتعارض أيضاً مع كلامه في وجوب معرفة أهل المدينة الفاضلة لله تعالى – كما سيأتي إن شاء الله تعالى–.

– إذا كان الله تعالى لا يفعل إلا شيئاً

(١) سورة آل عمران الآية ٨٠.

(٢) درء تعارض العقل والنقل. ابن تيميه. ج ٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٠. تحقيق: د. محمد رشاد سالم. ط. دار الكنوز الأدبية. الرياض

(٣) يبين الفارابي في نصوص كثيرة، أن الله تعالى يعلم جميع الأشياء، كلياتها وجزئياتها، لا يعزب عنه شيء. يقول: "الباري =جل جلاله مدبر جميع العالم لا يعزب عنه مثقال حبة من خردل، ولا يفوت عنايته شيء من أجزاء العالم. على سبيل الذي يبدأ في العناية، من أن العناية الكلية شائعة في الجزئيات، وأن كل شيء من أجزاء العالم وأحواله، موضوع بأوفق المواضع وأتقنها، على ما يدل عليه كتب التشريحات، ومنافع الأعضاء، وما أشبهها من الأقاويل الطبيعية. الجمع بين رأي الحكيمين الفارابي. تحقيق: د. ألبير نصري نادر. ص١٠٣. ط. دار المشرق. الطبعة الثانية.

واحداً، أو لا يصدر عنه إلا شيئاً واحداً. فكيف استطاع العقل الأول إيجاد أكثر من واحد، أو أكثر من شيء. أوليس الحال هكذا أن يكون أفضل من الله تعالى ؟ – تعالى الله عن ذلك –.

ومن الذي أعطى هذا العقل القدرة على إيجاد الكثرة ؟ أليس الله تعالى ؟.

إذا كان الأمر كذلك فيكون الله تعالى صدر عنه شيء متصف بالوحدة والكثرة معا. وهذا لا يقول به.

وإذا كانت هذه الكثرة ليست من الله تعالى، فالله لا يكون مصدر كل شئ، ولا يقال أن العقل الأول استمد هذه الكثرة من صلته بالله باعتبار أنه واجب، ومن نفسه باعتبار أنه ممكن ؛ لأن الفاعل حينئذ يكون الباري تعالى فيصدر عنه الكثرة، أو العقل الأول فيكون العالم ليس من إيجاد الله. كما أنه من الثابت امتناع وجود مؤثرين على أثر واحد.

– أن من صفات الله تعالى الإرادة، والقصد والاختيار والقدرة على إيجاد الفعل، وهذه النظرية تنفي ذلك من الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١). ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (٢). ﴿قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣)

– أن هذا الكلام يتناقض تماماً مع ما وصل إليه علم الفلك فكل هذه الموجودات التي صدرت عن تعقل العقول العشرة لذواتها، ما هي إلا أجرام سماوية، تدور كلها في فلك الشمس، في مجموعة واحدة تسمى المجموعة الشمسية، ضمن بلايين المجموعات فيما يسمى بالمجرة، ضمن بلايين المجرات في كون الله تعالى السحيق. فكيف صدرت كل هذه المجموعات ؟ وعمن صادرت ؟ وهل تحتاج إلى بلايين العقول لإيجادها ؟.

– إذا كانت هذه العقول هي أسماء للملائكة، فلماذا سميت بأسماء كواكب

(١) سورة هود من الآية ١٠٧.

(٢) سورة القصص من الآية ٦٨.

(٣) سورة آل عمران الآيتان: ٢٦،٢٧.

مادية لها وجود فعلي؟

– إن كواكب مجموعتنا الشمسية اكتشف علم الفلك، وجود كواكب أخرى تدور في فلك الشمس، وهي: أورانوس، ونبتون، وبلوتو. فمن أوجدها أيضا ؟.

– أن العلم الحديث يقول باستحالة قدم العالم، وبأنه حادث، وبأن العقول العشرة حادثة، وأن العقل الفعال أيضاً حادث، وإذا كان حادثاً فلا يقدر على إيجاد شيء، ولا على فيض السعادة لأحد. فهناك وقت لم يكن العالم فيه موجوداً ثم وجد، ولو فرضنا أن العالم قديم لفني العالم منذ زمن بعيد، وهذا ما يعرف في العلم الحديث بـ "القانون الثاني للحرارة الديناميكية" ويسمى بـ "قانون الطاقة المتاحة" أو "ضابط التغير" وهذا القانون" يثبت أنه لا يمكن أن يكون الكون أزليا. فهو يصف لنا أن الحرارة تنتقل دائماً من "وجود حراري" إلى "عدم حراري" والعكس غير ممكن، وهو أن تنتقل هذه الحرارة من "وجود حراري قليل" أو "وجود حراري عدم" إلى "وجود حراري أكثر"، فإن ضابط التغير هو التناسب بين "الطاقة المتاحة" و "الطاقة الغير متاحة".

وبناء على هذا الكشف العلمي الهام فإن " عدم كفاءة عمل الكون " يزداد يوما بعد يوم، ولابد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات. وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة " للحياة والعمل ". وسيترتب على ذلك، أن تنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية، وتنتهي – تلقائياً – مع هذه النتيجة " الحياة ".

وانطلاقاً من هذه الحقيقة القائلة بأن العمليات الكيماوية والطبيعية جارية، وأن الحياة قائمة، يثبت لدينا قطعا أن الكون ليس بأزلي ؛ إذ لو كان الكون أزليا لكان من اللازم أن يفقد طاقته منذ زمن بعيد، بناء على هذا القانون، ولما بقي في الكون بصيص من الحياة. (١)

---

(١) الإسلام يتحدى . تأليف وحيد الدين خان. ترجمة ظفر الإسلام خان . تحقيق د/ عبد الصبور شاهين . صـ٥٥، ٥٦ طبعة مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الثانية والعشرون . سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م – الله يتجلى في عصر العلم . مجموعة من العلماء الأمريكيين . ترجمة د/ الدمرداش عبد المجيد سرحان صـ٦ ومواضع أخرى . طبعة مؤسسة فرانكلين . الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨م .

المبحث الثاني

العلوم والمعارف والأخلاق والسعادة

يبين الفارابي، أن الغاية التي يريدها كل إنسان، ويتشوقها، وتتشوف إليها نفسه، هي السعادة. وإن كل إنسان يسعى إليها، فإنه يسعى نحو الكمال. وهذا الأمر بين وظاهر، ولا يحتاج إلى دليل، فهو في غاية الشهرة. وهذه السعادة التي يريدها الإنسان، يتشوقها على أنها خير ما، وإذا كانت خيراً فكل خير هو مؤثر. ولما كانت الغايات التي تتشوق على أنها خيرات، ومؤثرات كثيرة، لا شك كانت السعادة، هي أحدى الخيرات المؤثرة، وهي أعظم الخيرات، وهي أكثر الخيرات أثراً، وهي أكمل الغايات التي يسعى الإنسان إليها.

والخيرات التي يسعى الإنسان لتحصيلها، تنقسم إلى:

١. ما يفضل ويؤثر، لينال بها أمر آخر. مثل: شرب الدواء الذي يرجى به الشفاء.

٢. ما يفضل أو يؤثر، لأجل ذاتها. مثل العلم والرئاسة.

وأن التي تطلب لأجل ذاتها، أكمل أثراً.

والخيرات التي تؤثر لأجل ذاتها، قد تؤثر أحياناً لأجل شيء آخر، مثل الرئاسة أو العلم، فإنا قد نؤثره، لأجل ذاته، وفي أحيان أخرى، نؤثره لأجل الثروة أو اللذة، أو أي أمر آخر ينال بالرئاسة أو العلم.

وقد تؤثر الخيرات أبداً لذاتها، ولا تؤثر في وقت من الأوقات لأجل غيرها.

وعلى هذا التقسيم، فإن الأفضل، والأكمل، والأعظم، في كل الخيرات، هو ما يؤثر لذاته أبداً، ولا يؤثر لأجل شيء آخر. فتؤثر السعادة لذاتها، ولا تحتاج بعدها إلى شيء آخر، لأنها الأكمل، والأفضل، والأعظم. فهي آثر الخيرات.

وقد يظن البعض أن السعادة التي لا سعادة وراءها، ولا يطلب غيرها قد تكون في المال، أو التمتع بالذات، أو الرئاسة، أو العلم، أو غير ذلك. وكل واحد ممن يرى أن السعادة في واحدة من ذلك، يعتقد أن فيها السعادة على الإطلاق، وأنها الآثر والأعظم خيراً، وأنها نهاية الكمال الإنساني.

وإذا كانت السعادة بهذه المكانة وعلى هذه الدرجة فما هي طرق نيل السعادة؟

طرق نيل السعادة:

يبين الفارابى أن أحوال الإنسان وأفعاله فى حياته، منها مالا يلحقه بها مدح ولا ذم. ومنها ما يلحقه بها مدح أو ذم. وسبيل نيل السعادة، يكون بأحوال الإنسان التى يلحقه بها مدح وذم.

وأحوال الإنسان التى يلحقه بها مدح أو ذم ثلاثة أشياء:-

١. **الأفعال**: وهى كل ما احتاج الإنسان فيها إلى استعمال أعضاء بدنه الآلية. مثل: القيام، والقعود، والركوب، والمشى، والنظر، والسماع، إلى غير ذلك.

٢. **عوارض النفس**: مثل: الشهوة، واللذة، والفرح، والغضب، والخوف، والشوق، والرحمة، والغيرة، وما شابه ذلك.

٣. **التمييز بالذهن**: من جودة التمييز، أو رداءة التمييز.

وهذه الأمور الثلاثة، لا يخلو وقت، من أوقات حياة الإنسان، من فعل بعضها، وقد يجتمع أكثر من شىء، فى وقت واحد.

وكل حال من هذه الأحوال الثلاثة، أما أن يحمد الإنسان عليه، وإما أن يذم.

والمحمدة تلحق الإنسان فى هذه الأحوال، متى كانت الأحوال جميلة، والمذمة تلحقه متى كانت قبيحة.

وكذلك تلحق الإنسان المحمدة، متى كانت عوارض النفس على ما ينبغى، وتلحقه المذمة، متى كانت عوارضه على غير ما ينبغى.

وتلحق الإنسان المحمدة بتمييزه، متى كان جيد التمييز، وتلحقه المذمة، متى كان ردىء التمييز وجودة التمييز، تحمل الإنسان، يحصل الاعتقاد الحق، أو يقوى على تمييز ما يرد عليه.

ورداءة التمييز، تكون للإنسان، عند إيثاره الوقوف على اعتقاد باطل، أو يضعف عن تمييز ما يرد عليه.[1]

إذا كان الأمر كذلك، وإذا كان الإنسان يحمد، إذا كانت أفعاله، وعوارض نفسه جميله، وتمييزه كذلك، فما شروط الجميل، التى تحصل بها السعادة؟

شروط الجميل: يبين الفارابى، أن الأفعال الجميلة:

---

[1] - راجع: التنبيه على سبيل السعادة. صـ ١٧٧ وما بعدها.

إما أن يفعلها الإنسان، وتوجد فيه باتفاق – مصادفة – من غير قصد منه

وإما أن يحمل ويجبر عليها، من غير أن يكون قد اختارها، وفعلها طوعاً

وإما أن يفعلها طوعاً، وباختياره.

والأفعال الحسنة الجميلة، التى يفعلها الإنسان طوعاً وباختياره، إما أن يفعلها فى بعض الأشياء، وفى بعض الأزمان.

وإما أن يفعلها فى كل الأشياء، وفى كل الأزمان.

والأفعال الحسنة والجميلة، والتى ينال الإنسان بها السعادة، هى التى يفعلها طوعاً وباختياره، وفى كل الأشياء، وفى كل الأزمان.

كما أنه يجب أيضاً أن يفعل الإنسان الجميل، لذاته، لا لشىء آخر، فمن يفعل الجميل لا لذاته، بل لنيل ثروة مثلاً، أو شىء من هذا، فإنه لا يكون فاعلا للجميل، ولا يستحق نيل السعادة.

وعلى هذا: فإن شروط الجميل، التى ننال بها السعادة هى:

١. أن نفعل الأشياء طوعاً، وباختيارنا.

٢. أن يكون اختيارنا للأشياء، لأجل ذواتها.

٣. أن يكون فعلنا لتلك الأشياء، فى جميع زمان حياتنا

فهذه الشروط الثلاثة، يجب توافرها لفعل الجميل، لأجل الوصول إلى السعادة فى

١. أفعالنا.

٢. عوارض أنفسنا الجميلة.

٣. فى جودة التمييز.

فالفعل: يجب أن نفعله طوعاً، وباختيارنا، ويكون اختيارنا لأجل ذات الشئ، وأن نفعله فى زمان حياتنا كله.

وعوارض النفس: كالشهوة مثلاً، يجب أن نبتعد عنها، باختيارنا، ولأجل ذاتها، وفى جميع زمان حياتنا.

وجودة التمييز: فإنه ربما توجد للإنسان باتفاق – مصادفة –، فقد يحصل الإنسان على اعتقاد حق، لا بقصد ولا بصناعة. فالسعادة لا تنال بجودة التمييز، ما لم يكن بقصد وصناعة، من حيث يقصد ويشعر الإنسان بما يميزه كيف يميزه، وقد تحدث للإنسان جودة التمييز، ولكن فى أشياء يسيرة، وفى بعض الأزمان، وكل هذا لا يوجد جودة التمييز التى توجد السعادة، وإنما تنال، متى كانت جودة التمييز للإنسان، وهو بحيث يشعر بما يميزه كيف يميزه، وفى كل شىء

للإنسان تمييزه، وفى كل حين من زمان حياته. (١)

وإذا كان الإنسان يسعى إلى السعادة، فهو ينأى بنفسه، ويبعد عن الشقاوة، والبعد عن الشقاوة تكون بأفعال السعادة.

فالشقاوة تلحق الإنسان، إذا كانت أفعاله، وعوارض نفسه، وتمييزه، ضد ما يتعلق بها من أمور السعادة.

ويكون ذلك : بأن يفعل الإنسان الأفعال القبيحة طوعاً. ويختارها فى كل ما يفعل. وفى زمان حياته بأسرها.

وكذلك تكون فى عوارض نفسه. ويختارها، وفى زمان حياته.

وتكون له رداءة التمييز، فى كل ما للإنسان تمييزه، وفى كل حين من زمان حياته. (٢)

شروط نيل السعادة، والبعد عن الشقاوة

إذا كانت السعادة تنال بالأمور الثلاثة السابقة، والشقاوة بأضادها، فما هى السبل لنيل هذه الأمور؟

بين الفارابى، أن كل إنسان مفطور ومجبول، من أول وجوده، على قوة بها تكون أفعاله وعوارض نفسه، وتمييزه على ما ينبغى.

وبنفس هذه القوة، تكون أفعاله، وعوارض نفسه، وتمييزه على غير ما ينبغى.

وبهذه القوة، يفعل الأفعال الجميلة، وبها أيضاً يقوم بفعل الأفعال القبيحة. وبالتالى يكون للإنسان، إمكان فعل الجميل، أو فعل القبيح.

وبهذه القوة، يمكن للإنسان، أن يحصل على جودة التمييز، وبها نفسها يحصل على رداءة التمييز، ونفس القوة، تعطى الإنسان فى عوارض النفس، إما فعل الجميل، وإما فعل القبيح.

وبعد هذه الحالة الأولى، تحدث للإنسان، حالة أخرى، وهى أن يفعل الإنسان هذه الأمور الثلاثة، إما على فعل الجميل فقط، أو على فعل القبيح فقط، فهى تتمكن من ترجيح أحد الأمرين على الأخر، إما على ما ينبغى جميل فقط. وإما على غير ما ينبغى قبيح فقط. فيكون أحدهما أشد من الاخر. يقول الفارابى: "ثم تحدث بعد ذلك للإنسان حال أخرى، وهى تكون هذه الثلاثة على أحد الأمرين فقط،

١- السابق صـ ١٨٤

٢- راجع: التنبيه. صـ ١٨٤

أعنى: إما على ما ينبغى جميل فقط، وإما على غير ما ينبغى قبيح فقط، من غير أن يكون إمكان فعل ما ينبغى، على مثال إمكان فعل مالا ينبغى بالسواء لكن يكون بها أحدهما أشد إمكاناً من الآخر". (١)

والقوة الأولى أو الحالة الأولى، التى يستطيع بها الإنسان، فعل الجميل أو فعل القبيح، هى مفطورة فى الإنسان، لا قدر له على اكتسابها.

وأما الحالة الثانية، فتكون باكتساب من الإنسان.

والحالة الثانية هذه، تنقسم إلى قسمين.

الأول: ويكون به التمييز، أما جيد فقط، وإما ردىء فقط.

والثانى : ويكون به الأفعال، وعوارض النفس، إما جميلة فقط، وإما قبيحة فقط.

والقسم الأول ينقسم إلى قسمين أيضاً.

الأول: يكون به جودة التمييز، ويسمى جودة الذهن.

والثانى: ويكون به رداءة التمييز، ويسمى ضعف الذهن والبلادة.

١- التنبيه صـ ١٨٦

والذى تكون به الأفعال، وعوارض النفس، إما جميلة، وإما قبيحة، يسمى الخلق.

والخلق بدوره – كالسابق – **ينقسم إلى قسمين:**

الأول: الخلق الذى به تصدر عن الإنسان، الأفعال، وعوارض النفس الجميلة، ويسمى الخلق الجميل.

الثانى: الخلق الذى تصدر عنه الإنسان، الأفعال، وعوارض النفس القبيحة، ويسمى الخلق القبيح.

ويبين الفارابى، بعد هذا التقسيم الحاصر، الرائع، أنه إذا كانت السعادة تنال بالشروط السابقة، ومنها أن تصدر عن الإنسان دائماً، وفى كل شىء من أمور حياته، فيجب حينئذ أن يكون الإنسان، على حال واحدة دائماً، وهى ترجيح الجميل على القبيح، وذلك حتى يتمكن الإنسان، من إدامة فعل الجميل، وجوده التمييز، فى كل شىء.

وإذا كانت القوة التى فطر الإنسان عليها، قابلة لفعل الأمرين، كان لابد لوجود الجميل دائماً، من الأمر الثانى. وهو غلبة الجميل بالاكتساب، والتعود عليه، فتكون الأفعال وعوارض النفس، والتمييز، الصادرة بتلك الشرائط، هى

عن الحال الحادثة بالاكتساب. وبها ننال السعادة، إذا كانت قوة الذهن، ملكة متمكنة لا تزول. يقول الفارابي: "الأفعال وعوارض النفس، إنما يمكن أن تكون منا، بحيث ننال بها السعادة لا محالة، متى صارت لنا قوة الذهن ملكة، لا يمكن زوالها، أو يعسر.

فالخلق الجميل (عن طريق الأفعال، وعوارض النفس) وقوة الذهن (عن طريق التمييز بالذهن)، هما جميعاً الفضيلة الإنسانية، من قبيل أن فضيلة كل شيء، هي التي تكسبه الجودة والكمال في ذاته، وتكسب أفعاله جودة، وهذان جميعاً، هما اللذان إذا حصلا لنا حصلت لنا الجودة والكمال في ذواتنا وأفعالنا، فبهما نصير نبلاء أخياراً فاضلين وبهما تكون سيرتنا في حياتنا، سيرة فاضلة، وتصير جميع تصرفاتنا، تصرفات محمودة". [1]

وإذا كان الإنسان مفطوراً، على فعل الخلق الحسن أو القبيح، فتكون كل الأخلاق الجميلة أو القبيحة مكتسبة، وبالتالي يمكن للإنسان أن يحصل خلقاً، لم يكن حاصلاً له، وأن يغير ويبدل خلقاً لا يستحسنه بإرادته. ويكون ذلك بالتعود عليه. والتعود عليه يكون بتكراره مرات كثيرة. وفي زمان طويل. وفي أوقات متقاربة.

واكتساب الخلق الجميل، يكون من أصحاب الأخلاق الجميلة، واكتساب الخلق القبيح، يكون من أصحاب الأخلاق القبيحة كذلك.

ويضرب الفارابي مثلاً، يقرب اكتساب الخلق بالتكرار والتعود بالصناعات. فإن الحذق في الكتابة – مثلاً – يكتسبه الإنسان بالتعود، فيكون حاذقاً جيداً فيه، وجودة فعل الكتابة ممكنة في الإنسان، قبل حصول الحذق، فتكون موجودة فيه بالقوة

كذلك الفعل الجميل في الإنسان، فإنه ممكن له. إما بالقوة التي فطر عليها.

وإما بالفعل بعد حصوله بالخلق والتعود، والاستمرار.

والدليل على حصول الخلق بالعادة "ما نراه يحدث في المدن، فإن أصحاب السياسات، إنما يجعلون أهل المدن أخياراً بما يعودونهم من فعال الخير" [2]

[1] – التنبيه صـ ١٨٩، ١٩٠

[2] – السابق صـ ١٩٣

اكتساب الجميل يكون بالتوسط والعدل

يبين الفارابي أنه إذا أردنا، تحصيل الخلق الجميل، فإن ذلك يكون بالتوسط، والعدل.

وبيان ذلك: أن حصول كمال الخلق للإنسان، مثل حصوله على كمال بدنه الذي يكون بالصحة.

وإذا كانت الصحة حاصلة، فينبغي أن تحفظ. وإذا لم تكن حاصلة، فينبغي تكتسب. فكذلك الخلق الجميل، متى حصل، فينبغي أن يحفظ. وإذا لم يكن محصلاً، فينبغي أن يكتسب.

وإذا كانت الصحة، تحصل بالتوسط، فإن الطعام إذا كان متوسطاً، حصلت الصحة فكذلك الأفعال التي تحصل الخلق الجميل، فإنما تحصله بالتوسط، فإذا لم يتعود الإنسان فعل الخلق، لا يحصله. وزوال التوسط في الخلق، يكون إما بالزيادة، أو بالنقص، عما ينبغي، وحينئذ يكسب الخلق الرديء، أو يحفظه. ويؤدي إلى زوال الأخلاق الجميلة.

وإذا كان التوسط في كل شيء يكون بمقدار أو بمعيار، فمقدار التوسط في الأفعال أو الأخلاق، التي تكسب الجميل – يكون كما في صحة الأبدان – بمعرفة عدة أمور، بينها الفارابي في قوله: "متى أردنا الوقوف على المقدار، الذي هو توسط في الأفعال، تقدمنا فعرفنا زمان الفعل، والمكان الذي فيه الفعل. ومن منه الفعل. ومن إليه الفعل. ومن فيه الفعل. وما به الفعل. وما من أجله، أو له الفعل. وجعلنا الفعل على مقدار كل واحد من هذه، فحينئذ: نكون قد أصبنا الفعل المتوسط. ومتى كان الفعل مقدوراً بهذه أجمع، كان متوسطاً. ومتى لم يقدر بها أجمع، كان الفعل أزيد، أو أنقص. ولما كانت هذه الأشياء، ليست دائماً واحدة بأعيانها في الكثرة والقلة لزم أن تكون الأفعال المتوسطة، ليست مقاديرها، مقادير واحدة دائماً" [1]

والفارابي يوضح، ما به يحصل الخلق الجميل المشهور أنه جميل، والأفعال المتوسطة الكائنة عنه، والأمور المحصلة له، فيضرب أمثلة لذلك.

الشجاعة: الشجاعة خلق جميل، يحصل بتوسط بين الإقدام على الأشياء المفزعة، وبين الإحجام عنها. والزيادة في الإقدام عليها تكسب التهور، والنقصان

[1] – التنبيه. ص ١٩٨، ١٩٩.

من الإقدام يكسب الجبن، وكلاهما خلق قبيح. كما أن الزيادة فى الإحجام، والنقصان فى الإقدام، يكسب أيضاً الجبن. وإذا حصلت هذه الأخلاق، تصدر عنها بالضرورة هذه الأفعال.

السخاء: السخاء وسط بين حفظ المال وإنفاقه. والزيادة فى الحفظ، والنقصان فى الإنفاق، يكسب التقتير، وكلاهما خلق قبيح. كما أن الزيادة فى الإنفاق، والنقصان فى الحفظ، يكسب التبذير، وهو أيضاً قبيح. وإذا حصلت هذه الأخلاق، تصدر عنها بالضرورة هذه الأفعال بأعيانها.

العفة: العفة تحدث بوسط وعدل، فى مباشرة التماس اللذة من مطعم، ومنكح. والزيادة فى هذه اللذة تكسب الشره. والنقصان فيها يكسب عدم الحس باللذة. والطرفان مذمومان. وأيضاً: إذا حصلت هذه الأخلاق، صدرت عنها بالضرورة الأفعال بأعيانها.

الصدق: صدق الإنسان عن نفسه، يحدث إذا اعتاد أن يصف نفسه بالخيرات، التى هى له، غير مبالغ فيها، وغير مكرر وصفه بها بغير حاجة. فإذا اعتاد الإنسان المبالغة فى وصف نفسه، أو وصفها بما ليس فيها، أكسبه ذلك التصنع والمخرقة[1]، والرياء. وإذا اعتاد الإنسان وصف نفسه، بأوصاف ليست فيه، أكسبه ذلك الخسة.

التودد: التودد خلق جميل، وهو وسط بين رذائل، واكتسابه يحدث بتوسط ما يحبه الإنسان من قول أو فعل، والزيادة فيه تكسب الملق والنفاق، وكلاهما قبيح، والنقصان فيه يكسب الحصر، أو الحقد. وإذا كان يتحدث مع غيره بما يغمه، كان يكسبه سوء العشرة.

وقس على هذا كل الفضائل، وتوسطها، وما يحدث فى الزيادة، أو النقصان.

معرفة الوسط والعدل، وكيفية الوصول إليه؟

يبين الفارابى، أن بإمكان المرء، أن يصل إلى الوسط والعدل من الأخلاق، حتى تتحقق له السعادة والوصول إلى هذا: أن نعمل على إحصاء كل خلق على حدة. ونحصى بعد ذلك الأفعال الكائنة

---

(١) الاختراق، والإختلاق، والاختراص، والافتراء ١. ويقال: خلق الكلمة، واختلقها: خرقها. واخترقها: إذا ابتدعها كذباً. وتخرق الكذب وتخلقه. وخرق بالشيء يَخْرَقُه: جهله، ولم يحسن عمله. والخرق - بالضم -: الجهل والحمق. راجع لسان العرب مادة خ ر ق.

عن كل خلق. وبعد عملية الإحصاء هذه، ننظر فى أنفسنا!! أى خلق نجد أنفسنا عليه، وتسترح النفس له، وتحس عنده بلذة؟ وهذا الخلق هل نجد أنفسنا عليه منذ أول أمرنا؟

وهل وجوده فى أول أمرنا كان جميلاً، أم قبيحاً؟

وبعد إجابة الإنسان عن هذه الأسئلة، ينظر: أى فعل من الأفعال الخلقية هذه، إذا فعلناها، أحسسنا فى أنفسنا لذة، وأى فعل من الأفعال، إذا فعلناه، لم نتأذ به؟

فإذا حددنا هذا الفعل، نظرنا بعد ذلك: هل يصدر عن الخلق الجميل، أم صادر عن الخلق القبيح؟ فإن كان ذلك الفعل صادراً عن خلق قبيح قلنا: إن لنا خلقاً قبيحاً.

وبهذه الطريقة. نعرف أى خلق هو، وعلى أى خلق نحن.

ويبين الفارابى بعد ذلك: أنه يجب على الإنسان، أن يحرص على الخلق الجميل، وأن يبقيه إذا علمه من نفسه. وأن يترك القبيح أيضاً إذا علمه من نفسه. ويضرب لذلك مثلاً بالطبيب، الذى يعرف حال البدن، من خلال الأشياء التابعة للبدن. فإن كان البدن فى حالة صحة، عمل على إبقائها، وحفظها للبدن. وإن كان البدن فى حالة سقم، احتال على إزالته، وشفاء البدن منه. فكذلك الإنسان: إذا وجد نفسه على خلق جميل، أبقاه، وعمل على حفظه. وإذا وجد خلق قبيح، احتال على إزالته. فالخلق القبيح للنفس، كالمرض للبدن.

ويجب على الإنسان، إلا يقف عند حد معرفة الخلق الجميل، والخلق القبيح. ولكنه يعمل على حفظ نفسه على الخلق الجيد، وعند الوسط والعدل. فينظر فى الخلق القبيح، هل هو فى زيادة أم نقصان؟ حتى يرده إلى الوسط.

ويبين الفارابى أن معرفة الوسط الأخلاقى، والوقوف عليه، أمر عسير جداً؛ لذلك يعمل الإنسان ما فى وسعه، إلى الوقوف عند الوسط، أو الاقتراب منه، ويطبق ما قيل قبل ذلك، من الوقوف عند الوسط. يقول الفارابى: "والحيلة فى إيقاف الأخلاق إلى الوسط، أن ننظر فى الخلق الحاصل لنا، فإن كان من جهة الزيادة، عودنا أنفسنا الأفعال الكائنة عن ضده، الذى هو من جهة النقصان. وإن كان من صادفناه عليه من جهة النقصان، عودناها الأفعال الكائنة عن ضده الذى هو من جهة الزيادة. وندوم ذلك زماناً.

ثم نتأمل، وننظر!! أى خلق حصل؟ فإن الحاصل لا يخلو من ثلاثة أحوال.

إما الخلق المائل من الوسط إلى الضد الآخر.

وإما الوسط.

وإما الخلق الأول، أقرب منه إلى الوسط. أو لا.

فإن كان الحاصل، هو القرب من الوسط فقط، من غير أن نكون جاوزنا الوسط، إلى الضد الأخر، دمنا على تلك الأفعال بأعيانها زماناً ما آخر، إلى أن ننتهى إلى الوسط.

وإن كنا قد جاوزنا الوسط، إلى الضد الآخر، عندنا ففعلنا أفعال الخلق الأول، ودمنا عليه زماناً ما، ثم نتأمل الحال.

وبالجملة: كلما وجدنا أنفسنا مالت إلى جانب، عودناها أفعال الجانب الآخر. ولا تزال بفعل ذلك، إلى أن نبلغ الوسط، أو نقاربه جداً"[1]

كيف يتحقق الإنسان من أنه على الخلق الوسط؟

يبين الفارابى، أن التحقق من كون الإنسان، على الخلق الوسط الفاضل، يكون بالنظر إلى سهولة الفعل الحاصل عن الزيادة، هل هو فى سهولة الفعل الحاصل عن النقصان أم لا؟ فإن كانا على السواء من السهولة، أو كانا متقاربين نعلم حينئذ، أننا أوقفنا أنفسنا على الوسط الفاضل، ونختبر ذلك، بأن "ننظر إلى الفعلين جميعاً، فإن كنا لا نتأذى بواحد منهما، أو نلتذ بكل واحد منها، أو نلتذ بواحد منها ولا نتأذى بالآخر، أو كان الأذى عنه يسيراً جداً، علمنا أنها فى السهولة على السواء، أو متقاربين جداً"[2]

وجوب عدم الخلط فى الوسط الفاضل، وما يشبهه.

يبين الفارابى أمراً، غاية فى الأهمية فى التحقق من الوسط الفاضل؛ لأنه قد يختلط غير الوسط بالوسط. فقد يوجد فى الأطراف ما هو شبيه بالوسط، فيجب التحرز من ذلك. ويضرب الفارابى أمثلة لذلك. فالتهور - مثلاً - شبيه بالشجاعة. والتبذير: شبيه بالسخاء. والمجون شبيه بالظرف. والملق شبيه التوجد. والتخاسس شبيه التواضع. والتصنع: شبيه صدق الإنسان عن نفسه.

[1] - التنبيه صـ ٢٠٧، ٢٠٨

[2] - السابق. صـ ٢٠٩

كما أنه يجب التحرز من هذه الأمور، الشبيهة بالوسط؛ لأنه الأقرب إلى الطباع؛ لذلك تحتاج إلى كثير من المجاهدة، للتحرز من الوقوع فيها.

فنحن نميل بالطبع - مثلاً - إلى النقصان من الإقدام على الأمر المفزع. ونميل بالطبع إلى التقتير. وهذه الأمور، هى الشبيهة بالوسط. "فقد ينبغى أن نعرف الأمر، الذى ينبغى أن نستعمله آلة، يسهل بها علينا الانجذاب من طرف إلى طرف، أو إلى الوسط. فإن الروية وحدها، ربما لم تكن كافية، من دون هذه الآلة. فنقول: إنا إنما صار القبيح يسهل علينا فعله، بسبب اللذة التى عندنا، أنها تلحقنا بفعل القبيح، وتنكب الجميل، متى كان عندنا أنه يلحقنا به أذى، من قبل أنا نظن أن اللذة فى كل فعل هى الغاية، ونحن إنما نقصد بجميع ما نفعله هذا"[1]

أقسام اللذات: يقسم الفارابى اللذات إلى: لذات تتبع المحسوس، ولذات تتبع المفهوم

ومن النوع الأول: لذات المسموع، أو المنظور، أو المذوق، أو الملموس، أو المشموم.

ومن النوع الثانى: اللذات التابعة للرئاسة، والتسلط، والغلبة، والعلم. وما أشبهها.

ويظن كثير من الناس، أن اللذات الحسية، هى غاية الحياة، وكمال العيش؛ وذلك لأننا صنعنا هذا لأنفسنا، من أول حياتنا.

كما أن من اللذات الحسية، ما هو سبب لأمر ضرورى، إما لنا، وإما فى العالم.

وأما الذى هو لنا: فهو التغذى، الذى يكون به قوام حياتنا.

وأما الذى هو ضرورى للعالم، مثل التناسل، لذلك غلب علينا، أن هذه اللذات، هى غايتنا فى الحياة، وأنها هى السبب فى السعادة.

وبما أن المحسوسات هى الأشد معرفة عندنا، والأشد إدراكا، والوصول إليها أيسر، فهى العارفة عن أكثر الخيرات الحقيقية، العائقة عن نيل السعادة. فإن الإنسان يميل دائماً، إلى الابتعاد عن الجميل؛ لأجل اللذات الحسية.

ولكن الإنسان، إذا بلغ درجة الوصول إلى الوسط الفاضل - كما سبق - فقد قارب الأخلاق المحمودة.

[1]) التنبيه. ص٢١١.

واللذات المحسوسة أو المفهومة، إما أن تكون عاجلة، أو آجلة. وكذلك الأذى، إما عاجل، أو آجل. وعلى هذا فإن كل الأفعال، إما أن تتبعها لذة، أو أذى. مثل الألم الذى يتبع الاحتراق، واللذة التى تتبع الباءة. والأفعال الجميلة التى يتبعها أذى فى العاجل، فإنها لا محالة يتبعها لذة فى الآجل، أو فى العاقبة. وكذلك الأفعال القبيحة، التى تتبعها لذة فى العاجل، فلا شك أنها يتبعها أذى فى الآجل.

كيفية اجتناب اللذات القبيحة؟

يبين الفارابى، أننا إذا أردنا، اجتناب القبائح، فإنه يجب علينا، استقراء اللذات التابعة لكل فعل، والأذى اللاحق منه. ونقوم بحصر وتمييز ما تكون لذته عاجلة، وإذاه آجل، أو – فى العاقبة –. وكذلك فى المقابل، ما تكون لذته آجلة، وأذاه عاجل. فإذا ملنا إلى فعل قبيح فى لذة عاجلة، قابلنا ذلك بالأذى التابع للقبيح فى الآجل. وبالتالى نقوم بقمع وإزالة اللذة الداعية إلى فعل القبيح. فيسهل علينا حينئذ، ترك القبيح.

وكذلك إذا تركنا فعل جميل، لفواتنا لذة عاجلة، قابلناه باللذة الآجلة، التى تلحقنا بفعل هذا الجميل. وهذا يقمع ويزيل فى أنفسنا أيضاً، الأذى الصارف لنا عن فعل الجميل، وبالتالى يسهل علينا فعل الجميل. وهكذا: فى كل لذة وأذى، وفى كل جميل وقبيح.

أصناف الناس فى تعاملهم مع الجميل والقبيح:

يقسم الفارابى الناس بحسب المنهج الأخلاقى، واستعداداتهم لفعل الجميل، أو القبيح، إلى أصناف، وذلك بحسب جودة الفكر، والعزيمة. والناس بهذا الاعتبار ينقسمون إلى:

١. الإنسان الحر: وهو الذى توفرت فيه: جودة الروية، وقوة العزيمة.

٢. الإنسان البهيمى، أو العبد: وهو الذى انعدمت فيه الصفتان معاً.

٣. العبد المطيع: وهو من توفر فيه جودة الروية، ونقص فيه قوة العزيمة.

ويدخل تحت هذا التقسيم، أصنافاً أخرى. منها: من ينسب إلى العلم والفكر، لكنه لم ينتفع بما عمل، فصار فى مرتبة العبد.

ومنها: من نقصته جودة الروية، وله قوة العزيمة، فإذا روى له غيره، ورأى له الصواب، فإن كان منقاداً لمن يروى له، فقد خرج من دائرة الرق، وشارك الأحرار إن يكن منقاداً، فهو أيضاً بهيمى عبد.

اللذة وأصناف الناس: علمنا بما سبق، أن الفارابى بين أن اللذات تنقسم إلى حسية، وإلى غير حسية. وأن اللذات بعضها ظاهر، وبعضها خفى. وعلمنا أيضاً تقسيم الناس إلى أحرار، وإلى عبيد، ومن يلحق بها.

وتعامل الأحرار مع اللذة، بأنهم إذا أرادوا أن يسهلوا على أنفسهم فعل الجميل، وترك القبيح، باستعمال اللذة أو الأذى، فإن اللذات الظاهرة والخفية عندهم، بمنزلة واحدة. وبالتالى يسهل عليهم البعد عن القبيح. يقول الفارابى عن الأحرار: "فإن اللذات الداعية لهم، إلى القبيح، تنقمع بالأذى، إن كان الأذى من التى هى أخفى، كما تنقمع بما هو أظهر، من قبل أن جودة رويتهم، تجعل ما شأنه، أن يخفى عن الأكثر، بمنزلة الأظهر وأما من سواهم من الناس، فليس يكتفون بذلك، دون أن تقع لذاتهم أذى أظهر ما يكون. وعسى أن يكون من هؤلاء، من يكتفى فيهم، متى مالوا إلى القبيح، بسبب لذة عاجلة فيه، أن يقمع بلذة، توضع تابعة لتركه، أو لفعل ضده".[1]

وإذا أردنا تكوين مجتمع فاضل، يفعل الجميل، فينبغى أن نربى وينشأ الصبيان على ذلك؛ فإن الصبى إذا لم يزجره الإذى، عن فعل القبيح، زيد عليه الأذى بعد فعله للقبيح. وهذا المنهج يتبع أيضاً مع العبيد أو البهيمين، ومن يكون على منوالهم.

وقد يكتفى البهيمون بالأذى النفسى، مثل الخوف، والغم، وضيق الصدر، وما شاكل ذلك. ومنهم من يزاد مع ذلك، أذى فى حواسهم.[2]

تحصيل جودة التمييز

علمنا مما سبق: أن الفارابى، يبين أن أحوال الإنسان التى تلحقه بها مدح أو ذم ثلاثة أشياء: الأفعال. عوارض النفس. جودة التمييز. وبينا فيما سبق ما يتعلق بالأفعال، وعوارض النفس، ويكون ذلك بالأخلاق الفاضلة. وها هو يتحدث عن جودة التمييز، وكيفية تحصيلها.

١- التنبيه صـ ٢١٨

٢- راجع: السابق صـ ٢١٩

أولاً: معنى جودة التمييز:

هى: الوسيلة التى من خلالها، نحصل جميع العلوم، التى نحتاج إليها "هى التى نحوز، وتحصل لنا معارف جميع الأشياء، التى للإنسان علمها".[1]

ثانياً: أصناف العلوم التى يجب على الإنسان أن يعلمها، وما يحصل له به جودة التمييز.

تنقسم العلوم بهذا الاعتبار إلى صنفين.

١. صنف يُعلم، ولا يفعل. مثل علمنا بأن العالم حادث، وإن الله تعالى واحد. ومثل علمنا بأسباب كثير من الأمور المحسوسة.

٢. صنف يعلم ويفعل. مثل: علمنا بأن بر الوالدين حسن. وأن العدل جميل. وأن الرحمة واجبة. وأن الإيثار مطلوب. وأن الخيانة قبيحة. ومثل علم الطبيب بما من شأنه أن يكسب الصحة.

وكمال الصنف الثانى الذى يعلم ويفعل، أن يعمل، فلو لم يعمل، كان هناك نقص، وإذا علم ولم يعمل، كان العلم باطلاً، لا فائدة منه.

---

[1] - التنبيه. صـ ٢٢٠

أما الصنف الأول فكماله أن يعلم فقط.

علوم وصناعات كل صنف:

للصنف الأول علوم نعلمه بها. وللصنف الثانى علوم وصناعا نعلمه بها، وتكسبنا قوة على عملها.

والصنف الثانى هذا ينقسم أيضاً إلى صنفين:

الأول: صنف يتصرف به الإنسان فى المدن، كالطب، والتجارة، والملاحة، وما شاكل ذلك.

الثانى: صنف يكسب به الإنسان فعل الخيرات، وكسب الحسنات، والبر، والأفعال الصالحة، وكيف تكون سيرته بين الناس حسنة.

وأيضاً: القوة على فعل هذه الأشياء

إذن: عندنا الآن ثلاثة أقسام من العلوم والصانع.

وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة، له مقصود إنسانى – أى خاص بالإنسان.

والمقصود الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام: إما اللذيذ، وإما النافع، وإما الجميل.

وينقسم المقصود النافع إلى نافع لـ اللذيذ، ونافع فى الجميل.

والعلوم التى نحوز بها ما من شأنه أن يعلم فقط – القسم الأول – مقصوده الجميل.

والعلوم والصناعات، التى يكتسب الإنسان فعل الخيرات، والسيرة الحسنة بين الناس، وبها تستفاد القوة على الفعل – الصنف الثانى من الصنف الثانى – مقصوده الجميل أيضاً.

وعلى هذا: فإن العلوم جميعاً، مقصودها: أما تحصيل الجميل. وإما تحصيل النافع والصناعات التى مقصودها تحصيل الجميل فقط – العلم الأول والثالث – هى التى تسمى الفلسفة، وتسمى الحكمة الإنسانية على الإطلاق، وبها ينال الإنسان السعادة، لأن صناعة الفلسفة، تكسبنا كل ما هو جميل. وهذا الكسب يأتى من جودة التمييز، الذى يحصل عليه الإنسان بقوة الذهن، وقوة الذهن يستفيدها من المنطق – كما سيأتى-.

والصناعات التى يقصد بها تحقيق النافع، فليس شئ منها يسمى حكمة على الأطلاق، ولكن ربما سمى بعضها بهذا الأسم على طريق التشبه بالفلسفة.[1]

---

[1] - راجع: التنبيه صـ ٢٢٠ وما بعدها.

الفلسفة طريق لنيل السعادة

أولاً: تعريف الفارابى للفلسفة:

يعرف الفارابى الفلسفة بأنها: "العلم بالموجودات بما هى موجودة".[2]

والفلسفة عنده فى المكانة العالية، والمنزلة الأولى، وتتصدر جميع العلوم، ولا يوجد علم من العلوم، إلا داخل تحت الفلسفة. يقول الفارابى: "موضوعات العلوم، وموادها، لا تخلو من أن تكون إما إلهية، وإما طبيعية، وإما منطقية، وإما رياضية، وإما سياسية. وصناعة الفلسفة، هى المستنبطة لهذه، والمخرجة لها؛ حتى أنه لا يوجد شىء من موجودات العالم إلا وللفلسفة فيه مدخل، وعليه غرض، ومنه علم، بقدر الطاقة الإنسية".[3]

شروط طالب الفلسفة:

إذا كانت الفلسفة بهذه المكانة العظيمة، فإن الفارابي كغيره من الفلاسفة يرى أن من يريد أن يسلك طريق التفلسف، فلابد من توفر عدة شروط فيه. فإن توفرت فيه فمرحباً به في حقل

---

[2] - الجمع بين رأى الحكمين صـ ٨٠

[3] رسالتان فلسفيتان. الفارابى. تحقيق: د. جعفر آل ياسين. ص٨٣. ط . دار المناهل. بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م .

الفلسفة، فسينتج ويبدع. وإن لم تتوفر فيه هذه الشروط فليحسن عاقبة نفسه. وهذه الشروط هي:-

١. أن يكون جيد الفهم والتصوير للشيء، وللشيء الذاتي.

وقد سئل عن الحفظ والفهم أيهما أفضل ؟ فقال: "الفهم أفضل من الحفظ؛ وذلك أن الحفظ فعله يكون في الألفاظ أكبر ذلك في الجزئيات والأشخاص، وهذه الأمور لا تكاد تتناهي، ولا هي تجدي وتغني لا بأشخاصها ولا بأنواعها. والساعي فيما لا يتناهي كباطل السعي.

والفهم فعله في الكليات والقوانين، وهذه أمور محددة متناهية، وواحدة للجميع، والذي يسعى في هذه الأمور، لا يخلو عن جدوى"[1].

٢. أن يكون حفوظاً، وصبوراً على الكد، الذي يناله من التعلم.

ولا تعارض بين الشرط الأول والثاني، فالحفظ ليسهل عليه الفهم، والممتنع أن يحفظ ويرد كالببغاء بدون فهم.

٣. عدم الشره في المأكل والمشرب.

٤. تهون عليه بالطبع الشهوات. والمال، وماشابه ذلك.

٥. كبير النفس عما يشين عند الناس.

٦. ورعا سهل الانقياد للخير والعدل، عسر الانقياد للشر والجور.

٧. قوي العزيمة على الشيء الصواب.

٨. قد ربي على نواميس، وعلى عادات تشاكل ما فطر عليه.

٩. صحيح الاعتقاد لآراء الملة التي نشأ بها.

١٠. متمسكاً بالأفعال الفاضلة التي في ملته غير مخل بكلها، أو بمعظمها.

١١. متمسكاً بالفضائل التي هي في المشهور فضائل.

١٢. غير مخل بالأفعال الجميلة التي هي في المشهور جميلة[2].

أقسام الفلسفة:

تنقسم العلوم الفلسفية بناء على التقسيم السابق إلى قسمين: نظرية وعملية؛ وذلك لأن الفلسفة من قبيل

(١) رسالتان فلسفيتان . الفارابي. تحقيق د/ جعفر آل ياسين صـ٨٣. طبعة دار المناهل بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م .

(٢) تحصيل السعادة صـ٢٤ .

تحصيل الجميل، والجميل ينقسم إلى ما من شأنه أن يعلم فقط، ويسمى فلسفة نظرية. وإلى ما من شأنه أن يحصل به معرفة الأشياء، والقوة على فعلها، ويسمى فلسفة عملية، أو فلسفة مدنية. وتحصيل ذلك يكون بقوة التمييز.

أولاً: أقسام الفلسفة النظرية:

الفلسفة النظرية التي يعلمها الإنسان، ولا يعملها، تنقسم إلى ثلاثة أصناف من العلوم.

١. علم التعاليم. ويدخل فيه علم الحساب. وعلم الهندسة، وعلم المناظر، وعلم النجوم.

٢. علم الطبائع. وهو علم ينظر فى الأجسام الطبيعية، وفى الأعراض التى قوامها هذه الأجسام، ويعرف الأشياء التى عنها، والتى بها.[1] ويدخل فى هذا العلم ثمانية من العلوم الطبيعية.

٣. علم ما بعد الطبيعة. ويشتمل على العلم الإلهى.

ثانياً: أقسام الفلسفة أو العلوم العملية أو الفلسفة المدنية:

وهي تنقسم إلى قسمين:

١. علم الأخلاق. وهو ما به يحصل الإنسان علم الأفعال الجميلة، والأخلاق التى تصدر عنها.

٢. علم السياسة. ويشتمل على معرفة الأمور التى بها تحصل معرفة الأشياء الجميلة، لأهل المدن، وقدرتهم على تحصيلها، وحفظهم عليها.

العلاقة بين السعادة والفلسفة:

إذا كانت الأشياء الجميلة ملازمة لنا، ودائمة فينا، ومن أول أمرنا، فإننا لا ننالها، إلا بصناعة الفلسفة، فوجب بالضرورة أن تكون الفلسفة هى سبب سعادتنا. ونحصل على الفلسفة بجودة التمييز، الذى يكون بالمنطق.

العلاقة بين السعادة والمنطق:

إذا كان المنطق مدخلاً للفلسفة، وسبباً للتفكير الصحيح، المؤدى إلى السعادة؛ فإن المنطق من الأهمية بمكان.

وبيان ذلك أن السعادة: لا تنال إلا بالفلسفة، والفلسفة لا تنال إلا بجودة التمييز، وجودة التمييز، لا تحصل إلا بقوة الذهن على إدراك حقائق الأشياء، وإدراك الصواب فيها؛ فيلزم على ذلك، أن تكون القوة على إدراك الصواب،

(١) إحصاء العلوم. الفارابى. تحقيق: د. عثمان أمين ص٩١. الطبعة الثانية. سنة ١٩٤٩م

حاصلة لنا قبل معرفة كل ما سبق. والقوة على إدراك الصواب تكون بالمنطق؛ ولهذا كان أهمية المنطق عند الفارابي، فهو مدخل للفلسفة، وآلة لها، ومقدمة لتعلمها، ومن لم يتعلم المنطق، فلن يتعلم الفلسفة.

وهذا يفسر لنا أن الفارابي عندما ترك بلاده ورحل إلى بغداد، تعلم أولاً المنطق على يد أشهر المناطقة وحذاقه، وأنه رحل بعد ذلك إلى حران لتقويته والاستزادة منه.

إذن تنال السعادة عن طريق الفلسفة، وتحصل على الفلسفة عن طريق جودة التمييز، وجودة التمييز عن طريق المنطق. ولنمعن النظر، ونطيل الفكر في عبارات الفارابي التالية: "لما كانت السعادة إنما ننالها متى كانت الأشياء الجميلة لنا قنية. وكانت الأشياء الجميلة إنما تصير لنا قنية بصناعة الفلسفة.

فلازم ضرورة أن تكون الفلسفة هي التي تُنال بها السعادة.

فهذه هي التي تحصل لنا بجودة التمييز.

فينبغي أن نقول الآن في السبيل التي بها تحصل جودة التمييز فأقول:

لما كانت الفلسفة لا تحصل إلا بجودة التمييز.

وكانت جودة التمييز إنما تحصل بقوة الذهن على إدراك الصواب من كل مطلوب معرفته.

لزم أن تكون القوة على إدراك الصواب حاصلة لنا قبل جميع هذه.

وقوة الذهن إنما تحصل متى كانت لنا قوة بها نقف على ما هو باطل بيقين فنتجنبه. ونقف على الباطل الشبيه بالحق فلا نغلط فيه. ونقف على ما هو حق في ذاته، وقد أشبه الباطل فلا نخدع به. والصناعة التي بها نستفيد هذه القوة تسمى صناعة المنطق.

وهذه الصناعة هي التي يوقف على الاعتقاد الحق أيما هو. وعلى الاعتقاد الباطل أيما هو. وعلى الأمور التي بها يصير الإنسان إلى الحق. والأمور التي يزول بها ذهن الإنسان عن الحق. والأمور التي بها يظن في الحق أنه باطل. والتي تخيل الباطل في صورة الحق، فيوقع ذهن الإنسان في الباطل من حيث لا يشعر. ويوقف على السبل التي بها يزيل الإنسان الباطل عن ذهنه متى اتفق أنه اعتقده وهو لا يشعر. والتي بها يزيل الباطل عن غيره إن كان وقع فيه وهو لا يشعر، حتى إن قصد الإنسان مطلوباً أراد أن يعرفه، استعمل الأمور التي توقفه على الصواب من

مطلوبه، وتنكب الأمور التي تزيله عن الصواب من مطلوبه، ومتى وقع له اعتقاد في شئ وعرض له فيه شك، هل هو صواب أو ليس بصواب ؟ أمكنه امتحانه حتى يصير إلى اليقين فيه أنه صواب أو ليس بصواب. ومتى وقع له في خلال ذلك وقوع في باطل لم يشعر به أمكنه إذا تعقب ذلك أن يزيل الباطل عن ذهنه.

وإذا كانت هذه الصناعة بالحال التي وصفنا، فيلزم ضرورة أن تكون العناية بهذه الصناعة، تتقدم العناية بالصناعات الأخر.

ولما كانت الخيرات التي هي للإنسان بعضها أخص من بعض، وكان أخص الخيرات بالإنسان عقل الإنسان ؛ إذا كان الشئ الذي به صار إنساناً هو العقل.

ولما كان ما تفيده هذه الصناعة من الخيرات عقل الإنسان، صارت هذه الصناعة تفيد الخيرات، التي هي أخص الخيرات بالإنسان "[1].

وينبه الفارابي إلى الفرق بين صناعة النحو وصناعة المنطق، وأن البعض قد يخطأ فيهما، فبين أن النحو يعصم اللسان عن الخطأ في اللفظ، والمنطق يعصم الذهن عن الخطأ في الفكر، والفرق بينهما كالفرق بين اللفظ والفكر. ويبين أن العلاقة بينهما هي علاقة التباين، لا علاقة الترادف، أو العموم والخصوص المطلق. يقول الفارابي: " ولما كان اسم النطق والمنطق، قد يقع على العبارة باللسان، ظن كثير من الناس، أن هذه الصناعة قصدها أن تفيد الإنسان المعرفة بصواب العبارة عن الشئ، والقوة على صواب العبارة. وليس ذلك كذلك. بل الصناعة التي تفيد العلم بصواب العبارة، والقدرة عليه هي النحو.

وسبب الغلط في ذلك: هو مشاركة المقصود بصناعة النحو والمقصود بهذه الصناعة في الاسم فقط، فإن كليهما يسمى باسم المنطق، غير أن المقصود في هذه الصناعة من المعنيين الذين يدل عليهما اسم المنطق هو أحدهما دون الآخر.

لكن بين صناعة النحو وصناعة المنطق تشابه ما، وهو: أن صناعة النحو تفيد العلم بصواب ما ننطق به، والقوة على الصواب منه بحسب عادة أهل لسان ما. وصناعة المنطق تفيد العلم بصواب ما يعقل، والقدرة على اقتناء الصواب فيما

---

(١) التنبيه على سبيل السعادة . صـ ٢٢٥ – ٢٢٨ .

يعقل.

وكما أن صناعة النحو تقوم اللسان حتى لا يلفظ إلا بصواب ما جرت به عادة أهل لسان ما، كذلك صناعة المنطق تقوم الذهن حتى لا يعقل إلا الصواب من كل شئ.

وبالجملة فإن نسبة صناعة النحو إلى الألفاظ، كنسبة صناعة المنطق إلى المقولات. فهذا تشابه ما بينهما. فأما أن تكون إحداهما هي الأخرى، أو تكون إحداهما داخلة في الأخرى فلا"[1].

ويبين الفارابي بعد ذلك أن صناعة المنطق تعطي القوانين التي تعصم الذهن عن الوقوع في الخطأ في الفكر. فهي المعقولات من حيث تدل عليها الألفاظ، والألفاظ من حيث هي دالة على المعقولات تنقسم إلى ثمانية أقسام.

١ – المقولات. أو " قاطيفورياس ".

٢ – العبارة. أو " باري أرمنياس ".

٣ – القياس. أو " أنالوطيقا الأولى".

٤ – البرهان.أو " أنالوطيقا الثانية".

٥ – المواضع الجدلية. أو " طوبيقا".

٦ – الحكمة المموهة. أو " سوفسطيقا ".

٧ – الخطابة. أو " ريطوريقا ".

٨ – الشعر. أو " بويوطيقا "[2].

فالفارابي يبين بهذا، كيفية الوصول إلى السعادة، ويبدأ سلوك طريقها من المنطق، ثم العلوم الفلسفية.

وكما أن المنطق من أوائل الفلسفة، فكذلك يجب على من يريد أن يسلك طريق السعادة للوصول إليها، أن يعلم أيضاً أوائل العلوم الأخرى، التي سبق الإشارة إليها.

والعلوم الأوائل هذه، منها ما هو بدهي، لا يختلف في معرفته أحد، ولا يشك فيها إنسان، مثل: الكل أعظم من الجزء، وأن ماهية شيء غير ماهية شيء آخر مباين له، ومثال هذا.

وهذه الأوائل، لا يجحدها إنسان بعقلة وإن مارى فيها بلسانه؛ لأنه لا يمكن أن يقع له التصديق بخلافها.

ومن العلوم من يعرفها بعض الناس دون بعض، ومنها من يعرفها البعض بسهوله، ومنها من يعرفها البعض بعد فكر وإمعان نظر. ومن العلوم ما لا يصل إليها الجميع إلا بفكر، وهي المعقولات والكليات، المترتبة على الأوليات

(١) السابق صـ ٢٣٠، ٢٣١ .

(٢) إحصاء العلوم . صـ ٥٣

والبدهيات.

ولما كانت صناعة المنطق، هي أول شيء يشرع فيه بطريق صناعي، أو نظري؛ لزم أن تكون مترتبة على أمور بدهية، أو سبق معرفتها للإنسان، والجميع متفق على معرفتها.

ويرى الفارابي أن هذه الأشياء الأولية، هي موجودة في ذهن الإنسان من أول وجودة بالفطرة والغريزة؛ إلا أن بعض الناس، قد لا يحس بها، ولا يشعر بما هو حاصل في ذهنه، حتى يسمع اللفظ الدال عليه؛ فإنه يشعر حينئذ، أنها كانت في ذهنه، "وكذلك ربما لم تنفصل هذه الأشياء بعضها عن بعض في ذهنه، حتى يرى الإنسان بذهنه، كل واحد منها على حياله، حتى إذا سمع ألفاظها المتباينة الدالة عليها، رآها منفصلة متميزة في ذهنه؛ فلذلك ينبغي فيما اتفق منها، أن لا يشعر بها، أو لا يشعر بفصل بعضه عن بعض، إلى أن تعدد ألفاظها الدالة عليها، فحينئذ يشعر بها الإنسان ويرى كل واحد على حياله"[1]

وعلى هذا: فإن الكثير من الأشياء، التي يمكن بها الشروع في صناعة المنطق، لا يشعر بها الإنسان، أو لا يشعر بتفاصيلها، وهي موجودة في ذهنه.

فعلى راغب تعلم المنطق – كمقدمة للفلسفة – الموصلة للسعادة، أو من يريد التنبيه على الأمور الأولية في العقل، أن يقوم بحصر أصناف الألفاظ الدالة على أصناف المعاني المعقولة، فإذا أحس بتلك المعاني، واستطاع أن يفصل بينها، فإنه حينئذ يستطيع أن يأخذ من تلك المعاني، ما يعينه في صناعة المنطق.

وينبه الفارابي أيضاً إلى أن صناعة النحو، بما أنها تشتمل على أصناف الألفاظ، الدالة على المعاني فإنه يستعان بها فقط في أوائل المنطق.

يقول الفارابي: "ينبغي أن نأخذ من صناعة النحو مقدار الكفاية، في التنبيه على أوائل هذه الصناعة. أو أن نتولى نحن تعديد أصناف الألفاظ التي هي عادة أهل اللسان، الذي به يدل على ما تشتمل عليه هذه الصناعة، إذا اتفق أن لم يكن لأهل ذلك اللسان صناعة، تعدد فيها أصناف الألفاظ، التي هي في لغتهم؛ فلذلك يتبين أن ما عمل من قوم في المدخل إلى المنطق أشياء، هي من علم النحو، وأخذ منه مقدار الكفاية، بل الحق أنه استعمل الواجب، فيما يسهل به

١ التنبيه ص ٢٣٥

التعليم. ومن سلك غير هذا المسلك، فقد اغفل وأهمل الترتيب الصناعى".[1]

وبالأخلاق، والمنطق، والفلسفة، يحصل الإنسان على جودة التميز التى توصل إلى السعادة.

كلمة ختامية:

لعلنا لاحظنا أن كلام الفارابى فى تحصيل السعادة، عن طريق الأخلاق والمنطق والفلسفة، لا غضاضة فيه. اللهم إلا أن تحقيقه فى أرض الواقع فيه عناء شديد.

وفى تفصيله لاكتساب الفضائل، وكيفية الوصول فيها إلى الوسط والعدل كلام رائع جداً ويتفق مع ما جاء به القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، كما سبق الإشارة إلى ذلك.

وأغلب الظن، أنه يمكن لأى أحد أن يطبق هذا الأمر على نفسه، وأن يصل إلى الوسط فى الأخلاق.

كما أن رأيه فى تغيير الخلق، وأن يكون بالاكتساب، كلام جيد أيضاً، والواقع يؤيده، ولعل كثير من الأمثلة فى مختلف العصور، تؤيده أيضاً.

---

١) السابق ص ٢٣٦، ٢٣٧

المبحث الثالث

المدينة الفاضلة والسعادة

تمهيد : المدينة الفاضلة عند الفارابي، تمثل جماع فلسفته، فهو لا يوضح فيها النظام السياسي، وكيفية الحكم فيها فقط، ولكنه يبين كل ما يتعلق بها، وبأفرادها، من حيث علاقتهم بالله تعالى، وبالأنبياء، وبرئيسهم، ومع بعضهم البعض، كذا وآرائهم، وأسباب قولهم، وعلاقتهم بالمجتمعات الأخرى، وأنواعها، وأسباب ضعفها وانهيارها.

ويبين الأهم، وهو: كيف تكون المدينة الفاضلة موصلة للسعادة؟ وكيفية تطبيق نظريات ومفاهيم السعادة فى المدينة؟

وسنرى كيف ربط فى حلقات لا تنفصل، بين المبحثين السابقين، وبين المدينة الفاضلة.

ولأجل توضيح هذا الموضوع، ولأهميته، ألف الفارابي فيه كتاباً سماه "آراء أهل المدينة الفاضلة". وتأتي أهميته لأنه:

١. تناول فيه بتفصيل، كل ما يتعلق بالسعادة فى المدينة.

٢. تحدث فيه عن كل ما يتعلق بالمدينة.

٣. أنه آخر ما كتبه قبل وفاته. فهو تصوير لرأي الفارابي الأخير. يقول ابن أبي أصيبعة: " إن الفارابي ابتدأ بتأليف المدينة الفاضلة، والمدينة الجاهلة، والمدينة الفاسقة، والمدينة المتبدلة، والمدينة الضالة، ببغداد. وحمله إلى الشام في أواخر سنة ٣٣٠هـ، وتممه بدمشق سنة ٣٣٣هـ. وحرره، ثم نظر في النسخة بعد التحرير، فأثبت فيها الأبواب. ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولا تدل على قسمة معانيه، فعمل الفصول بمصر سنة ٣٣٧هـ"[1].

وسبق أن بينا أنه توفى سنة ٣٣٩هـ، فيكون آخر عهده بهذا الكتاب قبل وفاته بعامين. كما تناول الفارابي بعض الأمور المتعلقة برأيه في المدينة الفاضلة في بعض كتبه الأخرى مثل: " التنبيه على سبيل السعادة " و " تحصيل السعادة ".

حاجة الإنسان إلى الجماعة:

كل إنسان منا محتاج إلى غيره، ولا يستطيع إنسان أن يستقل في تدبير شئونه بنفسه، وهذا أمر فطري فيه. وهذا الاجتماع حتى يبلغ الإنسان أفضل كمالاته " ولا يمكن أن ينال الإنسان الكمال، الذي لأجله جعلت الفطرة الطبيعية، إلا باجتماع جماعات كثيرة متعاونين. يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه، فيجتمع مما يقوم به جملة الجماعة، لكل واحد جميع ما يحتاج إليه في قوامه، في أن يبلغ الكمال ؛ ولهذا كثرت أشخاص الإنسان، فحصلوا في المعمور من الأرض، فحدثت منها الإجتماعات الإنسانية "[2].

ولأجل احتياج الإنسان إلى الجماعة، وأن يعيش في جماعة، فإن فكرة وجود مجتمع فاضل مثالي، أخذ حيزاً كبيراً من تفكير وكتابات الفارابي – كما سبق –.

وتأتي أهمية وجود مجتمع مثالي فاضل لعدة أسباب. منها: –

– أن الاجتماع ضرورة لبني الإنسان.

– إذا كان هدف الإنسان في هذه الدنيا، هو الحصول على السعادة، فمن أكبر أسباب الحصول عليها، وجود مجتمع مثالي فاضل، يعيش فيه الإنسان، يؤثر فيه، ويتأثر به.

---

(١) التفكير الفلسفي صـ٢٠١

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة صـ١١٧ .

– أن هذا المجتمع ليس مجتمعاً يعيش من فيه لأجل العيش فقط، أو حسبما اتفق، بل هو مجتمع فاضل، له هدف مبني على مكارم الأخلاق.

– أنه مجتمع ديني.

أقسام المجتمعات:

يرى الفارابي أن المجتمعات، تكون على أنحاء شتى، ولا تكون على وتيرة واحدة، فمنها المجتمع الكامل، ومنها غير الكامل.

المجتمع الكامل.

وينقسم إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة مجتمعات.

١. **عظمى.** ويكون ذلك باجتماع الجماعة كلها، أو الناس كلهم في المعمورة. أي يكون العالم كله مجتمعاً واحداً، كأسرة واحدة.

٢. **وسطى.** ويكون باجتماع أمة في جزء من المعمورة. كمجموعة دول أو اتحاد دول، أو دولة.

٣. **صغرى.** ويكون باجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة. كالولايات، أو المحافظات، أو الأقاليم، أو المدن، أو ما أشبه ذلك.

المجتمع غير الكامل.

مثل اجتماع أهل القرية، أو اجتماع أهل المحلة – كالمنطقة أو الحي –، أو اجتماع أهل السكة – الشارع – واجتماع أهل منزل، وهو أقل المجتمعات غير الكاملة.

وكل واحد من هذه المجتمعات لبنة تكون المجتمع الأعلى منه. فالأسرة تكون اجتماع أهل الشارع، واجتماع أهل الشارع يكون المحلة، والمحلة تكون اجتماع أهل القرية، وهكذا، حتى يكون المجتمع الكامل في المعمورة كلها.

وأقل هذه الاجتماعات التي تحقق الغرض من المدينة الفاضلة، يكون باجتماع أهل المدينة، لا بأقل من ذلك.

والمجتمع العالمي الفاضل الذي ذكره الفارابي، لم يتحدث عنه أي فيلسوف من الفلاسفة الذين ذكروا المجتمعات الفاضلة. ولا شك في تأثره في ذلك بالإسلام، الذي يرى أن يكون الجميع تحت راية واحدة رئيسها الخليفة العام للمسلمين. يقول د/ والي: " ويلاحظ أن الاجتماع الأول، الذي ذكره الفارابي، وجعله أكمل المجتمعات الكاملة جميعاً، لم يذكره أحد من قبله من فلاسفة اليونان، الذين اغترف من فلسفتهم كأفلاطون وأرسطو، فهؤلاء لم يفكروا إلا فيما كان يقع تحت مشاهدتهم، وهو الدويلات الصغيرة، التي تتألف كل دولة منها من مدينة وتوابعها، أو من بعض مدن وتوابعها "[1].

ولعل إغفال الفارابي للنوعين الأولين من المجتمع الكامل يرجع إما إلى تعذر تحقيق ذلك. وإما إلى أن المدينة هي الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة، فبصلاحها تصلح هذه المجتمعات، وبفسادها يعتريها الفساد[2].

وجوب التعاون في المدينة الفاضلة لتحقيق السعادة.

يرى الفارابي أن المدينة حتى تكون فاضلة ويتحقق فيها السعادة، فمن أول وأهم شرائطها، سيادة روح التعاون والود بينهم.

ويجب أن يكون لها محرك أو رئيس أو قائد؛ ويشبه ذلك بجسد الإنسان حيث يتعاون كل عضو في الجسد على سيره وبقائه، وله عضو رئيس هو القلب. وهو الذي يحرك باقي الأعضاء، وينصاع

(١) المدينة الفاضلة . د/ علي عبد الواحد والي ص٢٩ طبعة مكتبة مصر .

(٢) راجع : السابق نفس الصفحة .

الجميع له.

ويوجد أيضاً أعضاء هامة، تأخذ المرتبة الثانية في تحريك الجسد، أو إدارة المجتمع، وهكذا حتى يصل إلى الأعضاء الخادمة التي لا ترأس.

يقول الفارابي: " والمدينة الفاضلة تشبه البدن التام الصحيح، الذي تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان، وعلى حفظها عليه، وكما أن البدن أعضاؤه مختلفة متفاضلة الفطرة والقوى، وفيها عضو واحد رئيس وهو القلب. وأعضاؤه تقرب مراتبها من ذلك الرئيس، وكل واحد جعلت فيه بالطبع قوة يفعل بها فعله، ابتغاء لما هو بالطبع غرض ذلك العضو الرئيس، وأعضاء أخر، فيها قوى تفعل أفعالها، على حسب أغراض هذه، التي ليس بينها وبين الرئيس واسطة. فهذه في الرتبة الثانية.

ثم هكذا. إلى أن تنتهي إلى أعضاء تخدم ولا ترأس أصلاً.

وكذلك المدينة. أجزاؤها مختلفة الفطرة، متفاضلة الهيئات. وفيها إنسان هو رئيس، وأخر يقرب مراتبها من الرئيس. وفي كل واحد منها هيئة وملكة، يفعل بها فعلاً، يقتضي به ما هو مقصود ذلك الرئيس. وهؤلاء هم أولوا المراتب

الأول.

ودون هؤلاء قوم يفعلون الأفعال على حسب أغراض هؤلاء. وهؤلاء في الرتبة الثانية.

ودون هؤلاء أيضا من يفعل الأفعال على حسب أغراض هؤلاء. ثم هكذا. تترتب أجزاء المدينة إلى أن تنتهي إلى أخر يفعلون أفعالهم على حسب أغراضهم. فيكون هؤلاء هم الذين يخدمون ولا يخدمون. ويكونون في أدنى المراتب، ويكونون هم الأسفلين "[1].

ويجب الإشارة إلى أن أعمال أعضاء البدن طبيعية، لكن أعمال أجزاء، وعمال المدينة تنال بالتعلم والاكتساب والإرادة.

وأجزاء وعمال المدينة مفطورون بالطبع بفطر وصفات جليلة متفاضلة، منها صفات تصلح للبعض دون البعض، على حسب قربهم من رئيس المدينة.

الرئيس الفاضل للمدينة الفاضلة.

الفارابي يخص رئيس المدينة بصفات وخصائص وسجايا حسنة، ليست موجودة في غيره ؛ ذلك لأنه يقوم بقيادة دفة المدينة؛ لأنه – كما سبق – كالقلب بالنسبة للبدن. وهو بالطبع أكمل الأعضاء وأتمها في نفسه، فيما يخصه. كما أنه يشارك أفضل ما في أي عضو آخر. وتحته أعضاء قائدة، ورئيسة لما تحتها.

ورئيس المدينة فضلاً عن كونه كالقلب في تكوين من بعده، والسبب في تحصيل قواها. وسبباً لتحقيق السعادة له، ولكل من في المدينة، يجب أن يكون سبباً.

ويضرب الفارابي مثلا برئيس المدينة الفاضلة مع من تحته بالباري تعالى – ولله المثل الأعلى – مع سائر الموجودات. يقول الفارابي: ".... وتلك أيضاً حال الموجودات. فإن السبب الأول، نسبته إلى سائر الموجودات، كنسبة ملك المدينة الفاضلة إلى سائر أجزائها. فإن البرية عن المادة تقترب من الأول، ودونها الأجسام السماوية، ودون السماوية الأجسام الهيولانية. وكل هذه تحتدي حذو السبب الأول، وتؤمه، وتقتفيه، ويفعل ذلك كل موجود حسب قوته "[2].

والفارابي يرى أنه ليس لأي أحد أن يكون رئيساً للمدينة الفاضلة. ولكن لابد من أمرين رئيسيين، يتفرع عنهما أمور كثيرة.

الأول : أن يكون بالفطرة والطبع

(١) آراء . صـ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) آراء صـ١٢١ ، ١٢٢ .

معداً لها.

الثاني : بأمور أخرى يكتسبها بإرادته.

ويجب أن تكون صناعته صناعة لا يخدم بها أصلاً. ولا يمكن أن ترأسها صناعة أخرى.

ورئيس المدينة إنسان استكمل، فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل.

وقد استكملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمال. " وتكوين هذه القوة منه معدة بالطبع، لتقبل إما في اليقظة، أو في وقت النوم عن العقل الفعال الجزئيات. إما بنفسها، وإما بما يحاكيها.

ثم المعقولات بما يحاكيها.

وأن يكون عقله المنفعل، قد استكمل بالمعقولات كلها، حتى لا ينفي عليه منها شئ، وصار عقلا بالفعل.

فأي إنسان، استكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها، وصار عقلاً بالفعل، ومعقولاً بالفعل، وصار المعقول منه يعقل. حصل له حينئذ عقل ما بالفعل، مرتبته فوق العقل المنفعل،أتم وأشد مفارقة للمادة، ومقاربة من العقل الفعال. ويسمى العقل المستفاد"[1].

" فيكون الرئيس في هذه الحالة حكيماً فيلسوفاً ومتعقلاً "[2].

ولا يخفى أن الفارابي بوصفه هذه الأمور، يجعل رئيس المدينة الفاضلة، من حيث ما يفاض عليه من العلوم كالأنبياء – عليهم السلام –.

وهذا الرئيس بهذه الأمور يكون في أكمل مراتب الإنسانية، وفي أعلى درجات السعادة، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال.

ورئيس المدينة وبخاصة الرئيس الأول، يجب أن يضع لهم القوانين والتشريعات، التي يسيروا عليها. وتسمى الملة. وهي:

" آراء وأفعال مقدرة مقيدة بشرائط يرسمها للجميع رئيسهم الأول "[3].

وتكون هذه الملة أو القوانين والتشريعات إما بوحي من الله تعالى عن طريق الأنبياء. وإما للرئيس عن طريق العقل الفعال.

(١) السابق صـ١٢٣ .

(٢) السابق صـ١٢٥ .

(٣) كتاب الملة لأبي نصر صـ٤٣ . تحقيق محسن مهدي . طبعة دار المشرق بيروت . الطبعة الثانية . وانظر كتاب الحروف للفارابي . تحقيق محسن مهدي . صـ١٣١ وما بعدها . طبعة دار المشرق الطبعة الثانية . سنة ١٩٩٠م .

وإذا كانت بوحي من الله تعالى فإما أن تأتيه مقدرة مفصلة محدودة. أو يستطيع هو تقديرها وتحديدها عن طريق ما وهبه الله تعالى.

يقول الفارابي: " الرئيس الأول الفاضل: إما أن تكون مهنته ملكية مقرونة بوحي من الله تعالى إليه، وإنما يقدر الأفعال والآراء التي في الملة الفاضلة بالوحي، وذلك بأحد وجهين أو بكليهما.

أحدهما: أن توحى إليه هذه كلها مقدرة.

الثاني: أن يقدرها هو بالقوة التي استفادها هو عن الوحي، والموحى تعالى، حتى تكشفت له بها الشرائط التي بها يقدر الآراء والأفعال الفاضلة. أو يكون بعضها بالوجه الأول، وبعضها بالوجه الثاني[1].

وإذا لم يستطع الرئيس الفاضل الأول بيان كل ما يتعلق بالملة لسبب من الأسباب، كموت، أو انشغال، أو أن تَجِدُّ أحداث لم تكن قبل، فيستكملها من يحذو حذوه[2].

صفات رئيس المدينة الفاضلة:

إذا كان رئيس المدينة الفاضلة بهذه المكانة العظيمة السامية، وهو الذى يكون مصدراً للسعادة لكل من فى المدينة، فلابد من أن تتوفر فيه، فضلاً عما سبق، الشروط التالية: -

١. أن يكون تام الأعضاء. قواها مؤاتية على الأعمال التي شأنها أن تكون بها، وكل عضو يستطيع القيام بالعمل الملائم له إذا طلب منه.

٢. أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له.

٣. أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه، ولما يراه، ولما يسمعه، ولما يدركه. ولا يكاد ينسى ذلك.

٤. أن يكون جيد الفطنة ذكياً. إذا رأى الشئ بأدنى دليل، فطن له، على الجهة التي دل عليها الدليل.

٥. أن يكون حسن العبارة، يؤاتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره، إبانة تامة.

٦. أن يكون محباً للتعليم والاستفادة منقاداً له، سهل القبول، لا يؤلمه تعب التعليم، ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه.

٧. أن يكون غير شره على المأكول، والمشروب، والمنكوح.

(١) الملة . صـ٤٤ .

(٢) راجع السابق صـ٤٨ ، ٤٩ .

متجنباً بالطبع للعب، مبغضاً للذات الكائنة عن هذه.

٨. أن يكون محباً للصدق وأهله، مبغضاً للكذب وأهله.

٩. أن يكون كبير النفس، محباً للكرامة، تكبر نفسه بالطبع من كل ما يشين من الأمور، وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها.

١٠. أن يكون الدرهم والدينار، وسائر أعراض الدنيا هينة عنده.

١١. أن يكون محباً للعدل وأهله، مبغضاً للجور والظلم وأهلهما، يعطي النصف من أهله ومن غيره، ويحث عليه، ويؤتي من حل به الجور. موآتياً لكل ما يراه حسناً وجميلاً. ثم يكون عدلاً غير صعب الإنقياد، ولا جموحاً، ولا لجوجاً إذا دعى إلى العدل. بل صعب القياد إذا دعى إلى الجور وإلى القبيح.

١٢. أن يكون قوي العزيمة على الشئ الذي يرى أن ينبغي أن يفعل، جسوراً عليه، مقداماً غير خائف، ولا ضعيف النفس[1].

(١) آراء صـ١٢٧ - ١٢٩ .

هذه الشروط مجتمعة لابد أن تتوفر في الرئيس الأول للمدينة. هو ومن يأتي من بعده من أمثاله يسنون القوانين، ويضعون التشريعات التي يسير عليها الناس، ويسير عليها من يأتي من بعده،لمن لم تتوفر فيه هذه الشروط مجتمعة.

فإذا لم توجد هذه الشروط مجتمعة، خلفه رئيس ثان، يسير على نهج السابقين، وفيه شروط أقل من الشروط السابقة، والشروط لها حد لا تقل عنها.

شروط الرئيس الثاني:

والرئيس الثاني هو من اجتمعت فيه من مولده وصباه ستة شروط وهي:

١. أن يكون حكيماً.

٢. أن يكون عالماً، حافظاً للشرائع والسنن والسير التي دبرها الأولون - الرؤساء - للمدينة، محتذياً بأفعاله كلها، حذو تلك بتمامها.

٣. أن يكون له جودة استنباط، فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة، ويكون فيما يستنبطه من ذلك، محتذياً حذو الأئمة السابقين.

٤. أن يكون له جودة روية، وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف في وقت من الأوقات الحاضرة من

الأمور والحوادث التي تحدث، مما ليس سبيلها أن يسير فيه الأولون، ويكون متحرياً بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة.

٥. أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين، وإلى التي استنبط بعدهم مما احتذى فيه حذوهم.

٦. أن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب ؛ وذلك أن يكون معه الصناعة الحربية الخادمة والرئيسة "[1].

فإن عز وجود رئيس ثان فيه هذه الشروط مجتمعة، ووجد اثنان اجتمعت فيهم الصفات السابقة كانا رئيسين للمدينة. وإذا لم تتوفر كل هذه الشرائط في اثنين، جاز أن تتفرق فيهم، حتى ستة رؤساء، لكل رئيس شرط منها، ولكن اجتماع هؤلاء الرؤساء على رئاسة المدينة الفاضلة مشروط بأنهم يكونوا متلائمين.

فإذا وجدت الشروط السابقة في واحد أو أكثر، ولم توجد في أحدهم الحكمة، بقيت المدينة بلا رئيس. فكان الحكمة شرط في الرئاسة، لا يقبل

(١) آراء صـ١٢٩ ، ١٣٠ .

السقوط بأي حال من الأحوال. وبفقد هذا الشرط تتعرض المدنية للهلاك والدثار ولو بعد فترة[2].

مضادات المدينة الفاضلة:

إذا كانت المدينة الفاضلة بالهيئة السابقة، ويتعاون بعضهم مع بعض. ووجود رئيس لها بالشرائط السابقة، سواء أكان رئيس أول، أو ثان، أو مجموعة من الرؤساء، فإن هناك ما يضادها. وهي: المدن الجاهلة، والفاسقة، والمتبدلة، والضالة.

أولاً: المدينة الجاهلة.

وهي التي لم يعرف أهلها السعادة، ولا خطرت ببالهم. إن أرشدوا إليها لم يفهموها، ولم يعتقدها. وإنما عرفوا من الخيرات بعض هذه التي هي مظنونة في الظاهر أنها خيرات من التي تظن أنها هي الغايات في الحياة، وهي سلامة الأبدان، واليسار، والتمتع باللذات، وأن يكون مخلي هواه، وأن يكون مكرماً ومعظماً. فكل واحد من هذه سعادة عند أهل الجاهلية.

والسعادة العظمى الكاملة هي اجتماع هذه كلها، وأضدادها هي

(٢) السابق نفس الصفحة .

الشقاء. وهي: آفات الأبدان، والفقر. وألا يتمتع باللذات، وألا يكون مخلي هواه، وأن لا يكون مكرما.

أقسام المدينة الجاهلة:

والمدينة الجاهلة تنقسم إلى مدن أهمها:

(أ) المدينة الضرورية. وهي التي قصد أهلها، الاقتصار على الضروري، مما به قوام الأبدان، من المأكول، والمشروب، والملبوس والمسكون والمنكوح والتعاون على الاستفادة منها.

(ب) المدينة البدالة: وهي التي قصد أهلها، أن يتعاونوا على بلوغ اليسار والثروة، ولا ينتفعوا باليسار في شيء آخر. لكن على أن اليسار هو الغاية في الحياة.

(ج) مدينة الخسة والسقوط. وهي التي قصد أهلها التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح، وبالجملة اللذة من المحسوس، والتخيل وإيثار الهزل واللعب بكل وجه، ومن كل نحو.

(د) مدينة الكرامة. وهي التي قصد أهلها، أن يتعاونوا على أن يصيروا مكرمين، ممدوحين، مذكورين، مشهورين بين الأمم، ممجدين ومعظمين بالقول والفعل، ذوي فخامة وبهاء.

(هـ) مدينة التغلب. وهي التي قصد أهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم الممتنعين أن يقهرهم غيرهم، ويكون كدهم اللذة التي تنالهم من الغلبة فقط.

(و) المدينة الجماعية. وهي التي قصد أهلها، أن يكون أحراراً، يعمل كل واحد منهم ما يشاء، لا يمنع هواه من شيء أصلاً.

ومما يجب الإشارة إليه أن ملوك هذه المدن جميعاً، يسعى كل واحد منهم. لا لمصلحة الجميع، ولكن ليحصل على هواه ورغبته وما تميل إليه نفسه. وغاياتهم جميعاً هي غايات المدينة التي سلطوا عليها. وبالتالي تنتفي عنهم السعادة.

ثانياً: المدينة الفاسقة.

وتشترك مع المدينة الفاضلة في أمور، ومع المدينة الجاهلة في أمور، فآراؤها آراء المدينة الفاضلة، وهي التي تعلم السعادة، وتعرف الله عز وجل، والعقول العشرة الثواني، والعقل الفعال، وكل شئ يعلمه ويعتقده أهل المدينة الفاضلة.

ولكن أفعال أهلها، أفعال أهل المدينة الجاهلة.

ثالثاً: المدينة المبدلة.

وهي التي كانت آراؤها وأفعالها في القديم آراء أهل المدينة الفاضلة، وأفعالها

كذلك، غير أنها تبدلت، فدخل فيها آراء غير تلك، واستحالت أفعالها إلى غير تلك.

رابعاً: المدينة الضالة.

وهي التي غيرت أفعال السعادة، وتعتقد في الله عز وجل، وفي الثواني، وفي العقل الفعال آراء فاسدة، رئيسها الأول، ممن أوهم أنه يوحى إليه، من غير أن يكون كذلك، ويكون قد استعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور[1].

الصفات واحدة لرؤساء المدن مع تعاقبهم

صفات رؤساء المدن الفاضلة، وغير الفاضلة واحدة على مر وتعاقب حكمها. فهم جميعا كنفس واحدة، لا خلاف بين رئيس ومن يأتي بعده. يقول الفارابي: " وملوك هذه المدن مضادة لملوك المدن الفاضلة، ورياستهم مضادة للرياسات الفاضلة، وكذلك سائر من فيها.

وملوك المدن الفاضلة الذين يتولون في الأزمنة المختلفة واحداً بعد آخر، فكلهم كنفس واحدة، وكأنهم ملك واحد يبقى الزمان كله، وكذلك إن اتفق منهم جماعة في وقت واحد، إما في مدينة واحدة، وإما في مدن كثيرة، فإن جماعتهم كملك واحد، ونفوسهم كنفس واحدة. وكذلك أهل كل رتبة منها، متى توالوا في الأزمان المختلفة، فكلهم كنفس واحدة تبقى الزمان كله.

وكذلك إن كان في وقت واحد جماعة من أهل رتبة واحدة، وكانوا في مدينة واحدة، أو مدن كثيرة، فإن نفوسهم كنفس واحدة، كانت تلك الرتبة رتبة رياسة أو رتبة خدمة[2].

وبالتالي لا ضير من أن يكون هناك أكثر من رئيس فإنه بالصفات السابقة لا يمكن أن يكون بينهما أو بينهم خلاف.

بلوغ السعادة لأهل المدينة الفاضلة.

عرفنا فيما سبق أن معنى السعادة هي: " أن تصير نفس الإنسان نحو الكمال بحيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة؛ وعرفنا أنها تُنال بأمور ثلاثة: بالاتصال بالعقل الفعال، وبالعلوم، وبالعيش فى المدينة الفاضلة.

وأفراد المدينة الفاضلة جميعاً يبلغون السعادة من خلال أمرين.

الأول: أمور مشتركة بينهم جميعاً، يعلمونها ويعملون بها.

(١) آراء . صـ١٣١ - ١٣٤ .

(٢) آراء صـ١٣٤ .

الثاني: أمور تخص كل طائفة أو كل رتبة على حدة، يعلمونها ويعملون بها أيضاً.

أي بالشيء المشترك بين الجميع، جنس فيما بينهم، وبالشيء الخاص لكل طائفة خاص بهم.

فإذا فعل كل فرد من أفراد المدينة الفاضلة الأمرين كليهما، أكسبته أفعاله تلك هيئة نفسانية جيدة فاضلة، أوصلته للسعادة.

وكلما داوم عليها أكثر، صارت هيئته تلك أقوى وأفضل، وتزايدت قوتها وفضيلتها، كمن يداوم على عمل معين، فإنه يتقنه غاية الإتقان. " وكلما داوم على تلك الأفعال أكثر صارت الصناعة التي بها تكون تلك الأفعال أقوى وأفضل، وتزيد قوتها وفضيلتها بتكرير أفعالها، ويكون الإلتذاذ التابع لتلك الهيئة النفسانية أكثر، واغتباط الإنسان عليها نفسه أكثر، ومحبته لها أزيد. وتلك حال الأفعال، التي ينال بها السعادة، فإنها كلما زيدت منها، وتكررت، وواظب الإنسان عليها، صيرت النفس التي شأنها أن تسعد أقوى، وأفضل، وأكمل. إلى أن تصير من حد الكمال، إلى أن تستغني عن المادة، فتحصل متبرئة منها، فلا تتلف بتلف المادة، ولا إذا بقيت احتاجت إلى مادة"[1].

وأفراد المدينة لا تتحقق سعادتهم، ولا تصبح المدينة فاضلة، إلا إذا ساروا على نهج رئيسهم، وأصبحوا شبيهين به، وواجب على الرئيس، ولا يعتبر مؤدياً واجبه نحو رسالته وشعبه، إلا إذا وصل بهم إلى هذا المستوى الرفيع. يقول الفارابي: " وكذلك ينبغي أن تكون المدينة الفاضلة، فإن إجراءها - أي أهلها - ينبغي أن تحتذي بأفعالها مقصد رئيسها الأول "[2].

وإذا كانت السعادة - كما رأينا - تنال من خلال أمور تعلم، ويعمل بها، سواء أكانت عامة أم خاصة ؛ فإن السعادة لا شك تختلف درجاتها من القوة إلى الأقوى، بحسب درجة وجودة تعلم هذه العلوم، وبالتالي فالسعادة تتفاضل بثلاثة أنحاء. بالنوع، والكمية، والكيفية ؛ وذلك مثل تفاضل الصناعات.

أولاً: التفاضل بالنوع. وهو أن تكون الصناعات مختلفة بالنوع، وتكون إحداها أفضل من الأخرى مثل صناعة

(١) آراء صـ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) د/ والي صـ٣٣ .

العطر، وصناعة الكناسة. والحكمة، والخطابة والرقص وصناعة الفقه. وهكذا.

ثانياً: التفاضل بالكمية. كأن يكون اثنان لهما صنعة واحدة، ويزيد أحدهما فيها عن الآخر. كأن يكون كاتبان مثلاً، علم أحدهما بأجزاء صناعة الكتابة أكثر، وآخر احتوى من أجزائها على أشياء أقل. فصناعة الكتابة مثلاً تشتمل على الإلمام بشئ من علم اللغة، والخطابة، والحساب، وجودة الخط. فيكون بعضهم احتوى على جميعها، وبعضهم احتوى على بعضها، وبعضهم احتوى على البعض الآخر.

ثالثاً: التفاضل في الكيفية. وهو أن يكون اثنان تعلما علماً، أو جزء من علم، وأحدهما أكثر دراية من الآخر ككاتبين احتويا من أجزاء الكتابة مثلاً على أشياء بأعيانها، ويكون أحدهما أقوى فيما احتوى عليه، وأكثر دراية من الآخر. والسعادات تتفاضل بهذه الأنحاء أيضاً.

تحصيل الجميل دائماً: عرفنا فيما سبق، أن مقصود العلم، هو تحصيل العلم النافع، وهو العلوم العقلية، وهى التى تسمى بالجميل. ويجب أن يكون دأب أهل المدينة الفاضلة، تحصيل الجميل دائماً، ويكن باختياره، وفى كل ما يفعله، وفى حياته كلها.

وهذه الأمور تكون فى أفعاله، وفى عوارض نفسه الجميلة، وكذلك بجودة التمييز؛ بحيث يشعر بما يميزه كيف يميزه، وفى كل شىء يميزه، وفى كل حين من زمان حياته – كما سبق بيان ذلك –.

أحوال أهل المدن الأخرى في السعادة.

المدن الأخرى الغير فاضلة، لما كانت أفعالهم رديئة، أكسبتهم هيئات نفسانية رديئة. مثل فعل الكتابة إن كان رديئاً، يكسب الإنسان كتابة أسوأ، رديئة، ناقصة.

وكلما ازداد من تلك الأفعال الرديئة، ازدادت صناعته نقصاً.

كذلك الأفعال الرديئة من سائر أفعال المدن، تكسب أنفسهم هيئات رديئة ناقصة، وكلما واظب واحد منهم على تلك الأفعال، إزدادت هيئته النفسية نقصاً، فتصير أنفسهم مرضى، فربما استلذوا بشئ ليس مستلذا أصلاً، كما أن المريض والمحموم، ربما يستلذ بشئ غير مستلذ، وربما لا يحس بشئ لذيذ في ذاته. " كذلك مرضى الأنفس، بفساد تخيلهم، الذي اكتسبوه بالإرادة والعادة، يستلذون الهيئات الرديئة، والأفعال الرديئة. ويتأذون بالأشياء الجميلة والفاضلة. أو لا يتخيلونها أصلاً. وكما أن في المرضى من لا يشعر بعلته، وفيهم من يظن مع ذلك أنه صحيح، ويقوى ظنه بذلك، حتى لا يصغى إلى قول طبيب أصلاً.

كذلك من كان من مرضى الأنفس، لا يشعر بمرضه، ويظن مع ذلك أنه فاضل، صحيح النفس، فإنه لا يصغى أصلاً إلى قول مرشد، ولا معلم، ولا مقوم"[1].

مصير أهل المدن الأخرى.

أولاً: مصير أهل المدن الجاهلة.

أصحاب المدن الجاهلة بما أن نفوسهم غير مستكملة، فتبقى غير مستكملة، ومحتاجة في قيامها إلى المادة ضرورة ؛ لأنها لم يترسم فيها شئ من حقيقة المعقولات الأولى أصلاً، فإذا بطلت المادة التي بها قوامها، بطلت القوى التي كان شأنها أن يكون بها وهي تنحل بعد ذلك إلى الإستقسات – العناصر الأربعة. الماء، والهواء، والتراب، والنار–، فيصير الباقي صورة الاستقسات، وهم هالكون، صائرون إلى العدم، على مثال ما يكون

(١) راجع . آراء صـ١٣٩ – ١٤١ .

عليه البهائم، والسباع، والأفاعي.

ثانياً: مصير أهل المدن الفاسقة.

وهم من تتنازعهم آراء المدينة الفاضلة والجاهلة.

" فإن الهيئات النفسانية التي اكتسبوها من الآراء الفاضلة، فهي تخلص أنفسهم من المادة، والهيئات النفسانية الرديئة التي اكتسبوها من الأفعال الرذيلة، فتقترن إلى الهيئات الأولة فتكدر الأولى، وتضادها. فيلحق النفس من مضادة هذه لتلك أذى عظيم، وتضاد تلك الهيئات هذه، فيلحق هذه من تلك أيضاً أذى عظيم. فيجتمع من هذين أذيان عظيمان للنفس.

وإن هذه الهيئات المستفادة من أفعال الجاهلية، هي بالحقيقة يتبعها أذى عظيم في الجزء الناطق من النفس. وإنما صار الجزء الناطق لا يشعر بأذى هذه؛ لتشاغله بما تورد عليه الحواس، فإذا انفرد دون الحواس، شعر بما يتبع هذه الهيئات من الأذى، ويخلصها من المادة، ويفردها عن الحواس، وعن جميع الأشياء الواردة من خارج". [2]

فإنه يكون هناك شاغل وقتي يشغل

(٢) السابق. نفس الموضع.

عن هذا الألم، كمن به غم، وشغلته حواسه بشئ، فإنه لا يشعر مؤقتاً بما يهمه. فإذا بعدت عنه شواغل الحواس، عاد إلى ما كان مغتماً به. وكذلك المريض إن تشاغل بشئ ألهاه عن إحساسه بألمه، فقل الإحساس به، فإذا بعد عنه ما يشغله، عاد إليه الإحساس بالألم. " كذلك الجزء الناطق ما دام متشاغلاً بما تورده الحواس عليه، لم يشعر بأذى ما يقترن به من الهيئات الرديئة، حتى إذا انفرد انفراداً تاماً دون الحواس، شعر بالأذى، وظهر له أذى هذه الهيئات، فيبقى الدهر كله في أذى عظيم.

فإن أُلحق به من هو في مرتبته، من أهل تلك المدينة، إزداد أذى كل واحد منهم بصاحبه ؛ لأن المتلاحق بلا نهاية، تكون زيادات أذاهم في غابر الزمان بلا نهاية. فهذا هو الشقاء المضاد للسعادة.[1]

ثالثاً: مصير أهل المدن الضالة.

ننظر من الذي أضلهم ؟ فإن كان الذي أضلهم وعدل بهم عن السعادة ؛ لأجل شئ من أغراض أهل الجاهلية، وقد عرف السعادة، فهو من أهل المدن الفاسقة. فذلك هو وحده دون أهل المدينة شقى. فأما أهل المدينة أنفسهم فهم يهلكون، وينحلون على مثال ما يصير إليه أهل الجاهلية.

رابعاً: مصير أهل المدن المبدلة.

ننظر أيضا: من الذي بدل عليهم ؟ فإن كان الذي بدل عليهم الأمر، وعدل بهم، إن كان من أهل المدن الفاسقة، شقى هو وحده. فأما الآخرون، فإنهم يهلكون وينحلون أيضاً مثل أهل المدن الجاهلة، وكذلك كل من عدل عن السعادة بسهو أو غلط[2].

ومن أهل المدن الفاضلة من يكون مضطراً أو مقهوراً على فعل من أفعال المدن الجاهلة. فهذا يجعله يتأذى بما يفعله من ذلك. وهذا التأذي، وهذا الاضطرار والقهر الواقعان عليه، لا يجعله يكتسب هيئة نفسية مضادة من هيئات أهل المدن الجاهلة، فتكون منزلته منزلة أهل المدن الفاسقة. ولا تضره الأفعال التي أكره عليها. وإنما ينال الفاضل ذلك، متى كان المتسلط عليه أهل أحد المدن المضادة للمدينة الفاضلة، واضطر إلى أن يسكن

(١) نفس الموضع.

(٢) راجع : آراء صـ١٤٢ – ١٤٤ .

في مساكن المضادين[1].

القدر المشترك بين أهل المدينة الفاضلة، والذي يكسبهم السعادة.

علمنا أن السعادة لأهل المدينة الفاضلة تنال بأمرين. أمر يشترك فيه الجميع، وأمر يخص كل طائفة على حدة.

إلا أن هناك أموراً تؤدي إلى السعادة، ينبغي أن يشترك فيها أهل المدينة جميعاً لا تميز فيه بين آحادهم مهما كانوا. وهذه الأمور هي معرفة مراتب الموجودات جميعاً وحق كل واحد، ومكانته. وهي على الترتيب.

- معرفة السبب الأول – الله سبحانه وتعالى – ومعرفة جميع ما يوصف وما يتعلق به.
- معرفة الأشياء المفارقة للمادة – النفوس السماوية، أو العقول العشرة، أو الملائكة –، وما يوصف به كل واحد منها بما يخصه من الصفات والرتبة، إلى أن تنتهي من المفارقة إلى العقل الفعال، وفعل كل واحد منها.
- معرفة الجواهر السماوية، وما يوصف به كل واحد منها.
- معرفة الأجسام الطبيعية التي تحتها كيف تتكون وكيف تفسد؟، وأن ما يجري فيها يجري على إحكام، وإتقان، وعناية، وعدل، وحكمة. وإنه لا إهمال فيها ولا نقص وجور، ولو بوجه من الوجوه.
- معرفة كون الإنسان، وكيف تحدث قوى النفس ؟ وكيف يفيض عليها العقل الفعال الضوء حتى تحصل المعقولات الأول، والإرادة، والاختيار.
- معرفة الرئيس الأول. وكيف يكون الوحي.
- معرفة الرؤساء الذين ينبغي أن يخلفوه، وإذا لم يكن هو في وقت من الأوقات.
- معرفة المدينة الفاضلة وأهلها، والسعادة التي تصير إليها أنفسهم. والمدن المضادة لها، وما تؤول إليه أنفسهم بعد الموت. إما بعضهم إلى الشقاء، وإما بعضهم إلى العدم.
- معرفة الأمم الفاضلة، والأمم المضادة لها.

(١) راجع : السابق صـ١٤٥ .

كيفية معرفة هذه الأمور لأهل المدن الفاضلة.

وأهل المدينة الفاضلة يعرفون هذه الأمور التي لابد من معرفتها عن طريقين.

الأول: إما أن ترسم في نفوسهم كما هي موجودة.

الثاني: وإما أن ترسم فيها بالمناسبة والتمثيل ؛ وذلك أن يحصل في نفوسهم مثالاتها التي تحاكيها.

وحكماء المدينة الفاضلة يعرفون هذه ببراهين، وببصائر أنفسهم.

ومن يلي الحكماء يعرفون هذه على ما هي عليه موجودة ببصائر الحكماء، اتباعاً لهم، وتصديقاً لهم، وثقة بهم.

والباقون منهم يعرفونها بالمثالات التي تحاكيها ؛ لأنهم لا هيئة في أذهانهم لتفهمها على ما هي موجودة، إما بالطبع، وإما بالعادة. ومعرفتهم بالمثالات التي تماثلها وتحاكيها، والتي تعرفها الأمم، ويكون بالمثال الأعرف فالأعرف.

وقد تختلف المثالات من أمة إلى أمة.

وبالتالي فلا يمانع من أن تكون مدينة فاضلة، أو مدن فاضلة، تختلف ملتهم ؛ إلا أنهم جميعاً ينشدون السعادة.

وإذا كانت هذه الأشياء المشتركة لدى الجميع معرفتهم لها ببرهان، فلا ينبغي أن يكون فيها عناد أصلاً[1].

تعقيب على آراء الفارابي في المدينة الفاضلة.

على الرغم من أن الفارابي في بعض آرائه الفلسفية، كان محل نقد، وعدم رضا، من كثير من المسلمين على مر التاريخ، إلا أن رأيه في المدينة الفاضلة، فيه كثير من القوة، والعمق والطرافة في نفس الوقت.

ويمكن إجمال أهم نقاط النقد في الأمور التالية:

- أن بعض هذه الآراء موجودة فعلاً في القرآن الكريم، وفي أحاديث النبي - ﷺ - ولا شك أنه تأثر بها، باعتبار أنه مسلم، درس العلوم الشرعية.

فقد تأثر بمثل القول بوجود مجتمع عالمي، أو ما دونه من المدن الكاملة. ومثل وجوب سيادة المساواة والعدل بين الجميع. وسيادة الحكمة. وإعمال العقل لدى الناس جميعاً. والتعاون. وتشبيه المدينة من رئيس وأعضاء بالجسد الواحد هذا يتفق مع حديث النبي ﷺ: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم،

(١) آراء صـ١٤٦ - ١٥٠ .

مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[1].

- إن كلام الفارابي في مجمله، كلام نظري، يصعب تحقيقه بالفعل على أرض الواقع.

فلم نسمع على مر التاريخ، وجود مدينة فاضلة، بكل هذه الشروط. اللهم إلا في فترات سياسة الأنبياء - عليهم السلام - للناس. وإن كان الفارابي يقول بأن رؤساء المدينة ومقدميها يوحي إليهم من العقل الفعال.

كما أن الفارابي عاصر سيف الدولة الحمداني، وكان قريباً منه، مسموع الكلمة، نافذ الرأي. ولو عرض عليه مثل هذا الرأي، لربما وافق وطبقه، ولكنه لم يفعل. وربما عرض ولم يطبقه سيف الدولة لصعوبة ذلك.

ولعل الفارابي عندما جاب الكثير من البلاد، ورأى ما بها، كتب عن المدينة الفاضلة، بالصورة التي يتمنى أن يكون عليها المدينة والحكم.

- إن " المدينة الفاضلة التي أقام الفارابي قواعدها في كتابه، هي مدينة يرأسها إنسان لا تقل منزلته كثيراً عن منزلة الأنبياء والملائكة. ويتألف أفرادها من قديسين. ومدينة كهذه لا يتاح وجود مثلها في عالمنا الدنيوي "[2].

- إن الفارابي هو من أقدم الفلاسفة المسلمين، الذين اهتموا بمثل هذه القضية على هذا النحو العميق الشامل لكل أجزاء المدينة، وكذا ضرورة الاجتماع البشري، وصفات وخصائص المدينة ورئيسها، وأنه قدوة لغيره.

- إن رأى الفارابي في السعادة، مبني في أحد اركانه، على نظرية العقول العشرة، ولا يعرف أحد غير الفلاسفة هذه النظرية، وبالتالي يسقط ركن كبير من أركان السعادة، فلا يعرف آحاد الناس، ولا خاصتهم معنى السعادة، وبالتالي فهم غير سعداء.

- حكم الفارابي على أفراد

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن النعمان بن بشير . كتاب البر والصلة والآداب . باب تراحم المؤمنين . حديث رقم ٦٧٥١ . جـ صـ طبعة دار الحديث . الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(٢) وافي . صـ٣٣ .

بعض المدن المضادة للسعادة، بأنهم يصيروا إلى العدم، هذا معارض لما جاءت به الشرائع السماوية؛ فإن الأديان أخبرت، أن أهل الإيمان ينعمون فى الجنة خالدين، وأهل الكفر يعذبون فى النار خالدين، ولا يوجد من يهلك ويعدم من الآدميين. ولم يرد الهلاك إلا للحيوانات فقط.

- أن الفارابي وإن تأثر بعض التأثر بأفلاطون في نظام جمهوريته، إلا أن هناك فوارق جوهرية بينهما. من أهمها: -

١. أن أفلاطون فرق بين طبقات المدينة وأفرادها على أساس طبقي، مساو لقوى النفس الثلاث، وهي الشهوانية، والغضبية، والعاقلة. فرأى بناء على ذلك أن المجتمع لابد أن يتكون من ثلاث طبقات، تشبه قوى النفس. وهم: طبقة العمال والفلاحين وهم مثل القوة الشهوية.

وطبقة الجنود، وهم مماثلون للقوة الغضبية.

وطبقة الفلاسفة والحكام، وهم مماثلون للقوة العاقلة.

أما الفارابي في مدينته، فلا يوجد فيها فوارق طبقية.

٢. تعيين الطبقات عند أفلاطون، يخضع لنظام محدد، قائم على اختبارات، ترتب على أساسها الطبقات، وتهيأ وتعد لذلك. أما عند الفارابي فإنه يعهد لهذه المهمة للرئيس الفاضل.

٣. الرئيس الفاضل عند أفلاطون لابد أن يكون فيلسوفاً، ولكنه لا يحكم حتى يمضي خمسة عشر عاماً في الحياة العملية، ليكتسب فيها الخبرات اللازمة. أما عند الفارابي فيكفي عنده أن يكون الرئيس نبياً، أو فيلسوفاً، يشرق عليه العقل الفعال، وهو بهذا يستغني عن الخبرات العملية[1].

٤. أن السعادة عند أفلاطون، مزيج من اللذة الحسية، واللذة العقلية. أما عند الفارابي فهي محاولة التشبه بالإله بقدر طاقة الإنسان.

٥. أن العدالة عند أفلاطون عبارة عن اعتدال قوى النفس، وبالتالي لا تقود إلى المساواة بين الناس. أما العدالة عند الفارابي، فإنها

(١) راجع : الفارابي والمدينة الفاضلة . صـ٦٥ .

تقود إلى المساواة بين الناس، حتى تتحقق السعادة، فالمجتمع المثالي يجب أن تسوده العدالة بين أفراده.

٦. الدولة عند أفلاطون لم تهتم بنظام الأسرة، ولا بالمرأة. وبالتالي دعت إلى شيوعية النساء، حتى يوجد جيش قوي الجندى فيه ابن الدولة، لا ابن الأفراد. وبالتالي دعت إلى شيوعية الأولاد. أما الفارابي، فإنه لم يقل، ولم يدع إلى هذا.

٧. أن أفلاطون رأى أن الدولة الفاضلة، التي تستكمل شرائط الفضيلة، هي الدولة اليونانية دون غيرها. فرأيه مبني على العنصرية لجنسه. أما الفارابي فإنه رأى أن المدينة الفاضلة هي التي تتوفر فيها شرائط الفضيلة، ويعمل أصحابها على استكمالها، والعمل بها. وبالتالي لا ضير من أن تتكون من أصحاب ملل مختلفة، أو عرقيات أو قوميات مختلفة.

- السعادة والشقاوة المرادان فى القرآن الكريم، والسنة النبوية، هما الأخرويان، وهذا لم يركز عليه الفارابى كثيراً، اللهم إلا إذا قصد أن السعادة أو الشقاوة الدنيوية، تكون بأسباب تؤدى إلى السعادة أو الشقاوة الأخروية.

خاتمة

بعد هذه الجولة، والسياحة المتواضعة، فى عقل وفكر فيلسوف من أشهر فلاسفة الإسلام، ومن خلال أهم نظرياته الفلسفية، وأهم شئ يصبو إليه أى إنسان وهو السعادة.

يتبين لنا عدة أمور أهمها:

- أن فلاسفة الإسلام، لم يتركوا موضوعاً من موضوعات الفكر إلا وتناولوه.

- كان تناولهم له، فى أكثر جوانبه، من نواح دينية، متأثرين فيها بما أتى به القرآن الكريم، وحديث النبى ﷺ.

- وجوب دراسة فلسفة فلاسفتنا، دراسة متأنية، للوقوف على عظمة ما وصلوا إليه من فكر.

- أن فلاسفتنا لم يكونوا مقلدين لمن سبقهم، بل هم مبتكرين فى أكثر موضوعات الفلسفة.

- أن رأى الفارابى فى السعادة، كان انعكاساً لحياته الخاصة، وبخاصة فى موضوع تحصيل العلوم، وفى الجانب الخلقى. وقد رأينا ذلك واضحاً، أثناء تناول طرفاً من حياته.

- أن رأى الفارابى فى العقل الفعال، على الرغم من كثرة النقد الذى وجه

إليه، إلا أن الكثير من الفلاسفة الذين أتوا بعده، حتى غير المسلمين، تأثروا بآرائه هذه.

– مما يلاحظ على الفارابي، استقصاؤه، وإحصاؤه، وتفريعه للمسائل التي بحثها، بحيث لا يترك فيها شيء، لم يتحدث عنه.

– أن من نقاط القوة بحق، في نظرية الفارابي في السعادة تحصيل العلوم لنيل السعادة، وتفصيله لشروط الجميل. وكذلك منهجه الأخلاقي، وكيفية الوصول إلى الوسط الفاضل.

– بيانه لأهمية المنطق للعلوم بصفه عامة، وللفلسفة بصفة خاصة.

– وجوب دراسة السعادة عن الفارابي، في أكثر مراحل التعليم، لتحبيب وتقريب الطلاب من الفلسفة والمنطق، حتى يتعودوا وينشأوا على التفلسف وحبه.

– بيان عظمة الفلسفة، من خلال التهيؤ للاستعداد لها، ببيان شروط طالبها، أو سلوك طريقها.

– تفرد الفارابي، وسبقه لغيره في تقسيمه للمجتمعات، وبخاصة المجتمع الكامل، الذي يكون في المعمورة كلها.

– أنه لا يصعب على المجتمعات، وبخاصة الصغيرة منها، تحقيق الكثير من أمور المدينة الفاضلة، حتى تتحقق لهم السعادة، ولتكن نواتها من الأسرة: ثم تتسع شيئاً فشيئا، حتى تشمل الشارع، ثم الحي، ثم القرية ثم المدينة وهكذا...

– وجوب تحقيق السلام والأمن بين الناس على المجتمعات كافة، حتى تتحقق السعادة.

وبعد: فهذه أهم الدروس المستخلصة من نظرية الفارابي في السعادة. نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينعم علينا بالسعادة في الدنيا والآخرة. وأن يدخلنا في رحمته، مع نبينا محمد ﷺ.

وأن ينعم علينا بالسعادة القصوى والكبرى، واللذة العظمى، والتي لا سعادة بعدها، وهي: النظر إلى وجه الله تعالى الكريم.

آمين. آمين. آمين

وصل اللهم على سيدنا محمد.

والحمد لله رب العالمين

فهرس المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع والمصادر.

– إحصاء العلوم. أبو نصر الفارابي. تحقيق د/ عثمان أمين. الطبعة الثانية. سنة ١٩٤٩م.

– أخبار العلماء بأخبار الحكماء. القفطي.

– آراء أهل المدينة الفاضلة. الفارابي. تحقيق: د/ ألبير نصري نادر. طبعة دار المشرق. الطبعة الثانية.

– الإسلام يتحدى. وحيد الدين خان. ترجمة: ظفر الإسلام خان، تحقيق د/عبدالصبور شاهين. طبعة مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية والعشرون. سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

– الله يتجلى في عصر العلم. مجموعة من العلماء الأمريكيين. ترجمة د/الدمرداش عبد المجيد سرحان. طبعة مؤسسة فرانكلين. الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٨م.

– بصائر ذوى التمييز، في لطائف الكتاب العزيز. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى. تحقيق: أ / محمد على النجار. ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

– تاريخ الفلسفة في الإسلام. دي بور. ترجمة: د / محمد عبد الهادي أبوريدة. طبعة مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الخامسة.

– تحصيل السعادة. أبو نصر الفارابي. طبعة سنة ١٣٤٥هـ.

– تذكرة الحفاظ. الذهبي.

– التفكير الفلسفي في الإسلام. د/ عبد الحليم محمود. طبعة دار المعارف.

– تهافت الفلاسفة. الإمام الغزالي. تحقيق د/ سليمان دنيا. طبعة دار المعارف.

– الثمرة المرضية. أبو نصر الفارابي.

– الجمع بين رأي الحكيمين. أبو نصر الفارابي. تحقيق: البير نصري نادر. طبعة دار المشرق. الطبعة الثانية.

– الحروف. أبو نصر الفارابي. تحقيق محسن مهدي. طبعة دار المشرق. الطبعة الثانية. سنة

١٩٩٠م.
- دائرة المعارف الإسلامية. مجموعة من المستشرقين.
- درء تعارض العقل والنقل. ابن تيمية. تحقيق د/ محمد رشاد سالم. طبعة دار الكنوز الأدبية. الرياض.
- رسالتان فلسفيتان. الفارابي. تحقيق د/ جعفر آل ياسين. طبعة دار المناهل بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م.
- سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. ت٧٤٨هـ. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. طبعة مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة التاسعة. سنة ١٣٩٣هـ.
- السياسة المدنية للفارابي. تحقيق د/ فوزي متري نجار. طبعة المطبعة الكاثوليكية. الطبعة الأولى.
- صحيح مسلم بشرح النووي. تحقيق: عصام الصبابطي وآخرون. طبعة دار الحديث. الطبعة الأولى. سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- طبقات الأمم. القاضي صاعد الأندلسي.
- العبر في خبر من غبر. الإمام الذهبي.
- علماء العرب وما أعطوه للحضارة. قدري حافظ طوقان. طبعة دار الكاتب العربي. بيروت.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء. ابن أبي أصيبعة.
- الفارابي. سعيد زايد. طبعة دار المعارف. الطبعة الثالثة.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. الإمام: ابن حجر العسقلاني. تحقيق: محب الدين الخطيب. ط. دار الريان والمكتبة السلفية. الطبعة الثالثة. سنة ١٤٠٧هـ.
- الفلسفة الإسلامية من المشرق إلى المغرب. د/ عبد المعطي محمد بيومي. سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
- الفهرست. ابن النديم. تعليق: الشيخ إبراهيم رمضان. طبعة دار المعرفة. بيروت.
- فيلسوف العرب والمعلم الثاني. الشيخ مصطفى عبد الرازق. طبعة القاهرة. سنة ١٩٤٥م.
- لباب الإشارات. الإمام

فخر الدين الرازي. تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا. طبعة مكتبة الكليات الأزهرية.
- لسان العرب. جمال الدين بن منظور. ط. دار المعارف.
- المدينة الفاضلة. د/ علي عبد الواحد وافي. طبعة مكتبة نهضة مصر.
- معجم البلدان. ياقوت الحموي.
- المقدمة. عبد الرحمن بن خلدون.
- الملة. أبو نصر الفارابي. تحقيق: محسن مهدي. طبعة دار المشرق. بيروت. الطبعة الثانية.
- نهاية الإقدام. الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. تحقيق: الفرير جيوم. طبعة مكتبة زهران. القاهرة.
- الوافي بالوفيات. الصفدي.
- وفيات الأعيان. ابن خلكان. تحقيق: أ/ إحسان عباس. طبعة دار صادر. بيروت. سنة ١٩٩٤م.

فهـرس الموضوعـات

• الموضوع رقم الصفحة

• مقدمة: ٢٥٨٣

• تمهيد:فى حياة الفارابى ٢٥٨٤

• مدخل: فى معنى السعادة. والشقاوة ٢٥٩٣

• تعريف السعادة عند الفارابى ٢٥٩٥

• طرق تحصيل السعادة عند الفارابى. ٢٥٩٥

المبحث الأول

الاتصال بالعقل الفعال والتشبه به والسعادة

• مراتب الوجود. ٢٥٩٦

• أقسام العقل. ٢٥٩٧

• الخير الإرادى سبيل السعادة ٢٦٠٢

• نظرة نقدية لرأى الفارابى فى العقل الفعال، وعلاقته بالسعادة. ٢٦٠٤

المبحث الثانى

العلوم والمعارف والأخلاق والسعادة ٢٦١١

• طرق نيل السعادة. ٢٦١٢

• شروط الجميل ٢٦١٢

• شروط نيل السعادة، والبعد عن الشقاوة. ٢٦١٤

• اكتساب الجميل يكون بالتوسط والعدل. ٢٦١٧

• معرفة الوسط والعدل، وكيفية الوصول إليه؟ ٢٦١٨

• كيف يتحقق الإنسان من أنه على الخلق الوسط. ٢٦٢٠

• وجوب عدم الخلط فى الوسط الفاضل، وما يشبهه. ٢٦٢٠

• أقسام اللذات ٢٦٢١

• كيفية اجتناب اللذات القبيحة؟ ٢٦٢٢

• أصناف الناس فى تعاملهم مع الجميل والقبيح. ٢٦٢٢

• اللذة وأصناف الناس. ٢٦٢٣

• تحصيل جودة التمييز. ٢٦٢٣

• معنى جودة التمييز. ٢٦٢٤

• أصناف العلوم التى يجب على الإنسان أن يعملها، وما يحصل به جودة التمييز. ٢٦٢٤

• علوم وصناعات كل صنف ٢٦٢٤

• الفلسفة طريق لنيل السعادة ٢٦٢٥

• تعريف الفارابى للفلسفة. ٢٦٢٥

• شروط طالب الفلسفة عند الفارابى. ٢٦٢٥

• أقسام الفلسفة ٢٦٢٦

• العلاقة بين السعادة والفلسفة ٢٦٢٧

• العلاقة بين السعادة والمنطق ٢٦٢٧

• كلمة ختامية ٢٦٣٢

المبحث الثالث

المدينة الفاضلة والسعادة

• تمهيد. ٢٦٣٢

• حاجة الإنسان إلى الجماعة ٢٦٣٣

• أقسام المجتمعات ٢٦٣٤

• وجوب التعاون فى المدينة الفاضلة، لتحقيق السعادة. ٢٦٣٥

• الرئيس الفاضل للمدينة الفاضلة ٢٦٣٦

• صفات رئيس المدينة الفاضلة ٢٦٣٦

• شروط الرئيس الثانى ٢٦٣٩

• مضادات المدينة الفاضلة. ٢٦٤٠

• الصفات واحدة لرؤساء المدن مع تعاقبهم. ٢٦٤٢

• بلوغ السعادة لأهل المدينة الفاضلة. ٢٦٤٢

• أحوال أهل المدن الأخرى فى السعادة. ٢٦٤٤

• مصير أهل المدن الأخرى. ٢٦٤٥

• القدر المشترك بين أهل المدينة الفاضلة، والذى يكسبهم السعادة ٢٦٤٧

• كيفية معرفة هذه الأمور لأهل المدينة الفاضلة. ٢٦٤٨

• تعقيب على آراء الفارابى فى المدينة الفاضلة. ٢٦٤٨

• خاتمة ٢٦٥١

• فهرس المصادر والمراجع ٢٦٥٣

• فهرس الموضوعات. ٢٦٥٦